الفصل الرابع

الدراما والخيال لثقافة الأطفال

1 ـ أدب الأطفال وأدب الكبار .

2 ـ معايير اختيار المادة الأدبية للأطفال .

3 ـ أدب الطفل المسلم .

4 ـ الدراما والخيال لتربية الأطفال .

الدراما والخيال لثقافة الأطفال

أولا : أدب الأطفال وأدب الكبار :

تعددت تعاريف أدب الأطفال بتعدد النظرة إليه فالبعض يرى أن أدب الأطفال يندرج فى إطار الأدب العام ، وأنه لا يوجد تعريف يميز أدب الأطفال عن أدب الكبار والبعض الآخر يرى أنه أدبا مستقلا بذاته ، حيث إن العصر الحالى هو عصر التخصص الدقيق ، وأدب الأطفال من الفنون التى أصبحت ذات سمات وخصائص ومقومات تخصصه وتميزه عن أدب الكبار .

ويمكن تصنيف الآراء التى وردت حول تعريف أدب الأطفال فى جانبين أساسيين: الأول يقصر أدب الأطفال على الأنماط التقليدية للأدب ، والثانى يوسع مفهوم أدب الأطفال ، بحيث يشمل - إلى جانب هذه الأنماط التقليدية - ألوانا أخرى من الكتابات الموجهة إلى الأطفال .

ولكل جانب من الجانبين مؤيدوه ، حيث يرى بعضهم أن أدب الأطفال يلتقى مع أدب الكبار فى كثير من أنواعه ، فهو قصة ، ومسرحية ، وشعر ، غير أن غذاء الصغار لابد أن يختلف فى موضوعه وكمه ، وأسلوبه ، وطريقة عرضه عن غذاء الكبار .

ويعرف أدب الأطفال أنه الكلام الجيد الذى يحدث فى نفوس الأطفال متعة فنية، سواء أكان شعرا أم نثرا ، وسواء أكان شفويا بالكلام أم تحريريا بالكتابة ، وتتفق إحدى الباحثات مع المفهوم الأول ، حيث ترى أن أدب الأطفال هو كل خبرة ممتعة وسارة - لها شكل فنى - يمر بها الطفل ويتفاعل معها ، فتساعد على

إرهاف حسه الفنى ، والسمو بذوقه الأدبى ، ونموه المتكامل ، فتسهم بذلك فى بناء شخصيته ، وتحديد هويته وتعليمه فى الحياة . ويرى د. حسن شحاتة أن أدب الأطفال مجموعة من الإنتاجية الأدبية تتضمن : القصص ، والأشعار ، والمسرح ، والموسيقى ، وتوفر هذه الفنون سياقا نفسيا اجتماعيا يراعى سمات الإبداع وينميها من حيث استثارة المواهب ومحاولة لتنميتها فى جو من التسامح ، والحب .

وواضح أن الآراء السابقة تقصر أدب الأطفال على ما يعرف عن أشكال تقليدية للأدب ، كالقصص ، والحكايات ، والمسرحيات ، والأشعار وغيرها ، فى حين يرى باحثون آخرون – من مؤيدى الجانب الثانى – أن أدب الأطفال لا يقتصر على هذه الألوان الأدبية فحسب ، بل يتسع ليشمل أنواعا أخرى متعددة من الكتابات الموجهة للأطفال مما تتضمنه الكتب والصحف الخاصة بالأطفال ، وما يكتب لهم فى مجالات الكبار .

ويعرفه من يؤيد هذا الجانب بأنه " كل ما يقدم للأطفال من مادة مكتوبة ، سواء أكانت كتبا أم مجلات ، وسواء أكانت قصصا أم تمثيليات أم مادة علمية " .

ويرى (الحديدى ، 1982 ، 204) أن أدب الأطفال لا يختلف فى جوهره وأدواته عن أدب الكبار ؛ إذ تتشابه كتب الأطفال فى عناصرها الأدبية مع كتب الكبار ، ولكنه يختلف من حيث الموضوع الذى يتناوله ، والفكرة التى يعالجها ؛ لأن الصغار يختلفون فيما يجتذب إحساسهم ، ويلائم مداركهم عن الكبار ، بل إن مراحل الطفولة نفسها تختلف بعضها عن بعض فيما يقدم للطفل من ألوان الأدب .

وتؤيد هذا الرأى ربيكا لوكينز (Lukens, Rebecca , 1976 , 7) ، حيث ترى أن الأطفال – يختلفون عن الكبار فى درجة : التفكير ، والنضج ، والتذوق – وليس فى النوع ، وكذلك أدبهم ، فهو يختلف عن أدب الكبار فى الدرجة لا فى النوع ؛ لأنه ممكن أن يعالج عديدا من القضايا التى يعالجها أدب الكبار ، وليست هناك حدود أو شروط سوى أن يكون هذا الأدب ملائما لمستوى الأطفال .

ويلاحظ مما سبق أن الاتجاه الغالب فى أدب الأطفال يأخذ بالرأى الذى يتمثل فى الجانب الثانى ، لاتساع مفهوم أدب الأطفال فيه ، وشموله ، ولما أثبتته الدراسات ، والبحوث من أن الأطفال يميلون إلى نوعيات مختلفة من القراءات ، وأن اهتمامهم بهذه القراءات ينمو ، ويتطور بتقدمهم فى العمر . لكن بعض الباحثين يرى أنه يجب التمييز بين النتاج المعرفى للأطفال ، والنتاج الأدبى الموجه إليهم ، فإذا استبعدت النصوص الأدبية التى كتبت أساسا للطفل ، فإن سائر النتاج المعرفى المكتوب للأطفال يدرج تحت مسمى أدب الأطفال ، وينبغى تأسيسا على ذلك إعادة النظر فى هذين النتاجين ، والتمييز بينهما .

وقد كشفت نتائج إحدى الدراسات عن أهمية الحاجة إلى فصل المؤلفات العامة فى مجال الطفولة عن الأدب الإبداعى الموجه إلى الطفل ، بغرض بناء جسر يمهد الطريقة لظهور أدب الأطفال فى المكتبة العربية ، ليحتل مكانته المرجوة بين ألوان الأدب الأخرى .

والأدب الإبداعى الموجه للطفل ، له طبيعة تميزه عن أدب الكبار ، فهو يحقق أهدافا متعددة منها : التربية الوجدانية ، وتنمية الإحساس بالجمال ، والتربية الأخلاقية، وتنمية الثروة اللغوية ، وتحقيق الانفعال الإيجابى بالأدب عن طريق التذوق الأدبى لدى الطفل ، وبث القيم فى نفسه ، وتعديل سلوكه ، وتنمية المهارات اللغوية والتعبيرية لديه بصورة تؤدى إلى ميله إلى اللغة وآدابها ، فيستطيع التعبير السليم عن مطالبه وأفكاره ومشاعره .

وتتفق مع القول بضرورة فصل الأدب الإبداعى الموجه للطفل عن سائر النتاج المعرفى المكتوب من أجله ، أو حوله ، فى مجال الدراسة الأكاديمية والبحث العلمى فقط . أما عند اختيار بعض النماذج الأدبية من أدب الطفل ، لتوظيفها فى مجال المناهج المدرسية .. فإنه ينبغى ألا نقتصر على الأدب بمفهومه الخاص (الأدب الإبداعى) لأنه لا يحقق الغرض منه ، وينبغى ألا نقتصر على الأدب بمفهومه العام

(الإنتاج العقلى المدون فى كتب فى مختلف أنواع المعرفة) ؛ لأنه يزيد بكثير عن المطلوب للأطفال ، ويخرج معظمه عن دائرة الأدب .

وهناك ألوان متعددة من النتاج المعرفى للأطفال ذات صلة وثيقة بالأجناس الأدبية فى الأدب الإبداعى يمكن توظيفها تربويا فتثمر كالوصايا ، والخطب ، والرسائل، والتمثيليات ، والمقالات ، والمحاورات ، والمناظرات ، والرحلات ، واليوميات ، والنصائح ، والفكاهات والنوادر والطرائق ، وهى من النثر ، وتعد أنواعا أدبية تندرج تحت مظلته كجنس أدبى . وكذلك الشعر الملحمى ، والشعر التمثيلى ، والقصة الشعرية ، والمحاورة الشعرية ، والمناظرة الشعرية ، وهى من الشعر ، وتعد أنواعا أدبية تندرج تحت مظلته كجنس أدبى أيضا .

أما الألوان الأخرى من النتاج المعرفى للأطفال التى يدرجها بعض الباحثين تحت ما يطلقون عليه " الأدب غير القصصى" ككتب المعلومات ، وكتب السير والتراجم ، والكتابة الصحفية للأطفال ، ومجلات الأطفال الأسبوعية ، والشهرية ، ودوائر معارف الأطفال ، والمعاجم المصورة للأطفال ، فنرى أن يتعامل معها الأطفال فى الحلقة الأولى من التعليم الأساسى من خلال المكتبة المدرسية ، لأنه لا مجال لها فى محتوى كتب اللغة العربية المقررة .

ونخلص مما سبق بتعريف أدب الأطفال بأنه : " كل نتاج معرفى – منظور أو منثور – له شكل فنى ، ويحقق المتعة والسرور للأطفال ، ويتفاعل الطفل ، ويساعد على إرهاف حسه الفنى ، ويسمو بذوقه الأدبى ، ويسهم فى نموه المتكامل ، وبناء شخصيته " .

وعلى هذا .. نميل إلى القول بعدم الأخذ بمفهوم دون الآخر من مفهومى الأدب ، وإنما يتخير النماذج المناسبة من الأدب الإبداعى ، ويضيف إليها النماذج المناسبة ذات الصلة الوثيقة بهذا الأدب من النتاج المعرفى ، شريطة أن يتم هذا

الاختيار فى ضوء معايير أدبية وتربوية متفق عليها بين الباحثين والمتخصصين لتحقيق الأهداف المرجوة.

وفى ضوء ما سبق.. يمكن القول بأن أدب الأطفال يندرج تحت مجالين أساسيين، هما : مجال الشعر ، ويضم : الأغانى الموزونة ، والأناشيد والأراجيز، والمنظومات الشعرية القصيرة ، والتعليمية ، والدراما المبسطة (المسرح الشعرى للطفل) ، ثم مجال النثر ، ويضم : الحكايات القصصية والأساطير ، والحكايات على ألسنة الحيوان ، والطير ، والأمثال والوصايا ، والأحاجى والألغاز .

لقد تعددت أهداف أدب الأطفال ، ولكن يمكن تحديدها فى بعدين أساسيين:

أولهما تربوى ، ويشمل الآتى :

- مساعدة الأطفال على أن يعيشوا خبرات الآخرين ، ومن ثم تتسع خبراتهم الشخصية وتعمق .
- إتاحة الفرصة للأطفال لكى يشاركوا – بتعاطف – مع وجهات النظر الأخرى ، والمشكلات ، وصعوبات الحياة التى يواجهها الآخرون .
- تمكين الأطفال من فهم الثقافات الأخرى وأساليب الحياة فيها سواء فى ذلك ما كان منها معاصرا ، وما يضرب فى أعماق التاريخ .
- تنمية الاتجاهات الطيبة نحو الكائنات الأخرى ، والمهن الأخرى ، والمؤسسات، إلى غير ذلك من مجالات تتفاوت فى أساليب الحياة .
- تحقيق المتعة ، وإثارة البهجة فى نفس الطفل .
- المساعدة على نمو القيم الروحية لدى الطفل عن طريق الخبرات المختلفة .
- تنمية الانتماء الإسلامى والعربى ، والاعتزاز بالجوانب المضيئة فى الإنسان العربى المسلم .
- تنمية اعتزاز الأطفال بالوطن ، وتربيتهم تربية وطنية وقومية .

وثانيهما لغوى أدبى ، ويشمل الآتى :

- تنمية الثروة اللغوية للطفل .
- تكوين عادة القراءة فى الكتب الأدبية .
- مساعدة الطفل على فهم الأساليب المجازية المختلفة ، وجوانب الجمال فى اللغة ، فتعبيرات الطفل اليومية مليئة بالتعبيرات المجازية ، والتى تتنوع بين التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وإن كان الطفل لا يفهم معانيها إلا أنها مليئة بشحنات عاطفية .
- مساعدة الطفل على إجادة الإلقاء ، وإخراج الكلمات والحروف إخراجا سليما، والتشبع بروح الشجاعة الأدبية .
- تمكين الطفل من فهم الأساليب اللغوية المتنوعة ، فيستطيع الطفل التمييز بين الأسلوب الخبرى ، ونبرات الصوت فيه ، وطريقة كتابته ، وبين الأسلوب الإنشائى، ونبرات الصوت فيه ، وطريقة كتابته ، التى تتنوع تبعا لكونه أمرا أو نهيا، أو نداء ، أو استفهاما ، أو تعجبا ، أو رجاء .
- إفساح الطريق أمام ذوى المواهب الأدبية من التلاميذ لعرض الشعر ، أو ممارسة الخطبة ، أو الكتابة فى أى فن من الفنون الأدبية التى تتفتح لها مواهبهم .
- تنمية التفكير الناقد لدى الأطفال ، فيزود الأدب الطفل بالخبرات التى تساعده على انتقاء ما يقرأه ، ناقدا للمادة التى يقرأها ، يتعايش معها بمشاعره ، ومن ثم يعلم كيف يعبر عن مشاعره باستخدام كلمات منتقاة بدقة، ويتعلم تقييم كتابات الآخرين (Smith , 1996 , 9) .

كل ما سبق يمكن تحقيقه من خلال المادة الأدبية المقدمة للطفل ، طالما كان الأديب أو الشاعر واعيا بخصائص المرحلة العمرية التى يكتب لها ، وملما بمطالب النمو المختلفة ، ومن ثم يستطيع تحديد أى الموضوعات والأفكار يجب أن تقدم فى أدب الطفل ليتفاعل معه ، وبهذا يستمتع الطفل باللغة شكلا ومضمونا ، ويتذوقها

فى أى شكل من أشكال الأدب بالتعبير اللغوى الرفيع الذى يتفاعل معه الطفل ، سواء أكان فى شكل نشيد أم قصة أم غير ذلك ، سوف يتسرب إلى وجدان الطفل ، فلغته ، وبهذا تنمو لغته رويدا رويدا ، حتى يصل إلى درجة تذوق الأدب الجيد ، ورفض الأدب الردىء.

ولعل ما يثرى الحديث عن أهداف أدب الأطفال أن ننظر إليه فى ضوء آفاق المستقبل ومتطلبات الألفية الثالثة ، وهندسة وصناعة إنسان جديد لمجتمع جديد ، حيث امتدت أهداف أدب الأطفال ؛ حتى تتناغم مع طبيعة العصر القائم والمستقبل القادم لتشمل (سوزان مبارك 2002م) :

- صياغة عقل الطفل ووجدانه بشكل يؤهله لمواجهة تحديات العصر ، ويجعله واثقا من قدرته على التعامل مع معطياته ومتغيراته الحالية والمرتقبة .
- تحقيق الشراكة الحقيقية بين المؤسسات الحكومية ودور النشر الخاصة ، والمعنيين بثقافة الطفل فى مختلف التخصصات والمؤسسات تعليمية وإعلامية وثقافية والعمل بروح الفريق فى إطار الحوار الدائم لتقويم الواقع من مشكلات ومعوقات والانطلاق إلى آفاق المستقبل .
- وضع رؤية واضحة للمستقبل تنطوى على تخيل تحديات الغد ، ومتغيراته التى تستوجب أنماطا جديدة للتفكير ، وسياسات صناعة القرار وآلية ذلك الالتحام مع معارض كتب الأطفال والمنتديات العالمية والملتقى الدولى السنوى، الذى يحتضن نماذج رائعة لإبداعات جديدة فى مجال أدب الأطفال.
- الاهتمام ليس فقط بتقنيات جديدة فى أدب الطفولة ومستويات الجودة ، بل نوعيات الموضوعات التى توجه للطفل ، ومنهج الكتابة للطفل الذى يتيح له مساحة أكبر للتخيل والإبداع ، ويتعامل مع الطفل بشكل يزيد من ثقته بنفسه ، وإحساسه بدوره باعتباره عنصرا فاعلا فى المجتمع ، وتأثير قراءات الطفل على اعتزازه بنفسه ، وثقته فى قدراته ، وتنمية ذوقه ، وقدرته على المنافسة العالمية .

- الانتقال بأدب الطفل من بلاغة اللغة وسلامة النص وتحقيق المتعة ، وشغل أوقات الفراغ إلى أن يتعلم من الأدب الذى يقدم له ، ويكتسب خبرات جديدة ومفاهيم معاصرة ، وإجابات متنوعة عن أسئلته وتساؤلاته تشبع شغفه للمعرفة، وتقترب به من عالم كبير يراه على شاشات الصندوق السحرى (التلفاز) أحيانا وعلى مواقع الإنترنت أحيانا أخرى .

- كتاب الطفل لابد أن يقوم على منهج علمى يوائم بين ما يحققه للطفل من إثارة شغفه للمعرفة ، وإشباع رغبته فى التعرف على أشياء جديدة ، وما يضيفه لشخصيته من حصيلة معرفية وخبرات ومهارات تؤثر فى سلوكه واعتزازه وثقته بنفسه ، وآلية ذلك الاهتمام بجيل جديد من الكتاب وتأهيلهم وتدريبهم علميا ومهنيا ، وليس فقط من خلال الندوات وورش العمل ، ولكن أيضا بإتاحة الفرصة لهم للتعرف على الخبرات العالمية ، وكذلك رسامو كتب الأطفال الذين يجب أن يمتلكوا ثقافة واسعة ، واستيعابا لاحتياجات الطفل ، ومعايشة من قضوا رحلة العمر ليس فقط فى الإبداع للطفل ، بل فى التفكير والتأمل المتعمق لشخصية الطفل ، وكيفية التأثير فيها ، والإضافة إلى ثقافته وحصيلته المعرفية والتأثير فى سلوكه .

- التعامل مع عقل الطفل ووجدانه معا بمهارة حتى تبقى فى ذاكرته ووجدانه وإلى الأبد أعمال أدبية خالدة ، تؤثر فى شخصيته ، وهذا الأمر يتطلب أن نكتب للأطفال ونحن نرى عقل الطفل مساحة متاحة للتأثير ، وندرك مسئولية التعامل مع تلك المساحة وأثر ما ينقش عليها ، وأن نرسم ونكتب بمشاعر طفل ، ولكن بعقل وقلم وريشة فنان محترف .. لابد أن نصل إلى درجة من النضج والثقافة تؤهلنا لمعايشة الطفل عبر الحرف والكلمات والأشعار والأغانى والقصص والرسوم والألوان التى تصل إلى عقل وقلب الطفل فيسعد بها ، ويعاود قراءتها مرارا بل يحفظها ويرددها .

– الكتابة للطفل فن وعلم تتطلب بجانب الإبداع والموهبة امتلاك كم هائل من الأفكار والمشاعر المتدفقة ، ولدى كتاب الطفل دافعا ملحا على التعبير عما يدور بداخلهم يسعى للخروج إلى النور بعد نضجه بصورة كافية ، وهم فى ذلك مستلهمين المقولة الشهيرة : (إن كتاب الطفل الجيد هو الكتاب الذى يستمتع به قارئه وهو فى العاشرة ، ثم يساعده على اكتشاف الجديد عندما يبلغ الخمسين) ؛ لأن الكتابة الإبداعية جسر ممتد بين الأجيال تحقق المتعة للصغار ، وتقدم الحكمة للكبار ، والكتاب يظل يحمل فكرا من جيل إلى جيل يحافظ على حكمة الأجداد لينقلها إلى الأحفاد ، ويحفظ القيم والمثل بين دفتيه ليعبر بها من زمان إلى زمان .

إن آلية ذلك إتاحة الفرص المتعددة أمام كتاب الطفل الموهوبين لزيارة المكتبات وحضور اللقاءات والمعارض الدولية ، والمشاركة بإنتاجهم الإبداعى فى المسابقات التى تضيف لخبرتهم الكثير وتؤهلهم للقيام بالدور الواجب عليهم الاضطلاع به حيال طفل المستقبل ، كذلك نحن فى حاجة إلى مراكز ومعاهد تدريب متخصصة لتدريس مهارات وفنون الكتابة للطفل والرسم والتصميم والطباعة والمهارات اللازمة حتى نرتقى بكتاب الطفل .

إن تأسيس المجلس العربى لكتب الأطفال والنشء وتوثيق تراث أدب الطفل العربى ، وممارسة مركز توثيق بحوث أدب الأطفال تمت بناء على دراسة علمية ومنهج متطور لتوثيق التراث العربى ، ليس فقط على مستوى إنتاج أدب الطفل فى مصر ، بل فى العالم العربى كله ، وهو مسئولية قومية ؛ لأن تراثنا الأدبى ثرى ومتميز يحوى كنوزا من الإبداعات يجب أن نحافظ عليها ، ونقدمها للأجيال القادمة فى أفضل صورة ممكنة .

إن طبيعة العصر ورؤى المستقبل تتطلب طفلا عربيا متميزا ، يتم تشكيله فى ضوء منهج علمى يراعى ثقافة الطفل بمختلف فروعها ومجالاتها من خلال مدخلات تؤثر فيه تشمل : البرامج المتلفزة ، والكتب المدرسية ، ومواقع الإنترنت ،

والمكتبات المدرسية والعامة ، ومن خلال فكر متميز يحكم العمل فى ميدان ثقافة الطفل يتحقق من خلال تطوير شكل الكتاب ومضمونه ، وإصدار سلاسل من الأعمال الإبداعية ، ورعاية الكتب العلمية والمراجع ذات الطابع التعليمى المزودة بالصور والأشكال والرسوم التوضيحية ، حيث تعرف مفاهيم مختلفة وأفكار علمية فى المراحل التعليمية المتتالية، وتوفير المواد القرائية العلمية عبر التقنيات الحديثة لتأهيل الطفل علميا وتنمية قدراته على البحث والابتكار ، وتشكيل الطفل عبر منهج علمى يتطلب الاهتمام بالمجلات العلمية للأطفال ، وتخصيص صفحات فى المجلات للثقافة العلمية، وتبسيط العلوم للطفل والابتكارات العلمية المختلفة ، وتشجيعه على أسلوب التفكير العلمى فى التعامل اليومى ..

وبجانب الكتب والمجلات العلمية ، هناك المسابقات المختلفة الرسم والكتابة حول موضوعات مختلفة ، وفى مجالات البحث العلمى لتشجيع الأطفال على القراءة العلمية ، وتنمى قدراتهم على البحث وتكشف مواهبهم وابتكاراتهم وقدرتهم على الاختراع ، ولتحصل على جيل من العلماء والباحثين الصغار ، ولعل متحف سوزان مبارك للطفل ، ومركز سوزان مبارك الاستكشافى آليتان تساعدان على تحقيق هذه الأهداف .

إن انتشار مكتبات الأطفال ، والمكتبات العامة ، ومكتبات المدارس آليات تدعم تشكيل طفل عربى متميز ، والمسئولية القومية تتطلب اعتبار المكتبة مركزا للبحث والتعليم المستمر ، والتعليم المفتوح ، والتعلم عن بعد ، فالمكتبة الحديثة وسيط للوصول إلى مصادر المعلومات ، ولابد من تزويدها بالتكنولوجيا المتطورة وبشبكات الإنترنت التى تصلها بمراكز البحوث العالمية ، ولابد أيضا من تطوير أسلوب العمل لأمناء المكتبات وتدريبهم على التقنيات الحديثة المتقدمة واللغات الأجنبية بشكل ييسر لهم القيام بدورهم فى ظل هذه الطفرة العلمية الهائلة .

ولعل الدخول بالطفل العربى إلى عالم الكمبيوتر يتطلب بجوار المكتبات ونوادى التكنولوجيا الاهتمام بالبرمجيات ومواقع الإنترنت العربية الموجهة للطفل ،

التى هى ضرورة أساسية حتى لا نقتصر على تلقى المعلومات من الغرب وما تقدمه للأطفال، وكذلك الاهتمام بإتاحة الفرص أمام الأطفال لامتلاك أجهزة الكمبيوتر، وحتى يتعاملوا مع الموقع المصرى (حورس الصغير) ومواقع على الإنترنت ترفيهية وتعليمية وتثقيفية قومية . ونحن فى حاجة إلى برامج تعليمية علمية تبسط العلم وتقدم الأفلام العلمية .

وخلاصة القول أن مسيرة أدب الأطفال التى أثرتها جهود وعطاءات الأدباء والتربويين يمكن توظيفها فى ثنايا المناهج الدراسية عن طريق : التكامل بين فنون اللغة ، والذى يتحقق بشكل جيد ، فيستطيع المعلم من خلال النصوص الأدبية الجيدة أن ينمى مهارات (القراءة ، والكتابة ، والاستماع ، والتحدث) ، وتنمية الوعى الصوتى ، والتمييز بين الأصوات ، حيث يحتاج القارئ المبتدئ إلى وعى دقيق بالظواهر الصوتية ، ومعرفة الحروف على حد سواء ، حيث إن معظم الذين لا يقرأون يشتركون فى مشكلة واحدة هى عدم قدرتهم على تعرف الحروف والأصوات .

* إن المواد الأدبية تشكل عاملا مهما من عوامل جذب ميول التلاميذ واهتماماتهم ، حيث تؤثر الميول القرائية بدورها فى مستوى الفهم القرائى ، والميل نحو المقروء .

* عدم الاهتمام بأدب الطفل العربى ، والكتابة له ، حيث إن أدب الأطفال لم يأخذ شكله فى العربية كفن من الفنون الأدبية إلا فى العقد الثالث من القرن العشرين ، بعد ظهور أول علمين من أعلام الكتابة للطفل فى تاريخ العربية نظما ، ونثرا ، وهما : " محمد الهراوى وكامل الكيلانى " . وظهر بعد ذلك من الرواد التربويين – الذين كتبا للأطفال – من النصف الثانى من العقد الثالث " عبد اللطيف حمزة، وعبد التواب يوسف ، ومحمد محمود رضوان ، وعلى الحديدى ، وأحمد نجيب ويعقوب الشارونى وغيرهم " .

* إن أدب الأطفال اعتمد على الاقتباس والترجمة من التراث الأجنبى ، أما التأليف للأطفال فقد ظهر فى فترة متأخرة من عمر أدب الأطفال .

* إن أساليب عديدة قد ظهرت فى العلم فى كتب القصص والشعر للأطفال ، وتناولت مضامينها جوانب متعددة ، ومع هذا فإن أساليب ومضامين أدب أطفالنا لا تزال تلف فى دائرة مغلقة .

* إن أدب الأطفال – على أهميته – لم يظهر كحركة أدبية ، وإنما اعتمد على مبادرات شخصية ، مما أدى إلى :

– عدم وجود وحدات متكاملة تجمع العاملين فى هذا المجال من كتاب وشعراء ، ورسامين ، وخطاطين ، ونقاد .

– عدم دراية من يكتبون فى هذا المجال بأصول هذا الفن الصعب .

– ندرة القصائد التى تمتع الطفل وتبهجه وترضيه .

– عجز معظم الشعراء عن تقمص شخصية الطفل الصغير ، والتحدث بلسانه .

* إن اختيار النصوص الأدبية من بين المتاح والمكتوب للطفل يشكل صعوبة كبيرة وخاصة فى الصف الأول ، من حيث سهولة وصعوبة المفردات المقدمة ، وطول الجملة ، وأنواع التراكيب ، فكثير من هذه النصوص لا تراعى هذه الأمور المهمة.

* إن عدم مراعاة المعايير السابقة يلقى بالمسئولية الكبيرة على عاتق المهتمين والمسئولين عن إعداد كتب الأطفال القائمة على مدخل أدب الأطفال ، من حيث: إعادة الصياغة ، والتبسيط المناسب لأعمار الأطفال .

* إن استخدام مدخل الأطفال فى تعليم مهارات اللغة يلقى على عاتق المعلم مسئولية اختيار النصوص التى يمكن أن يشارك الأطفال فيها بطريقة سريعة، وغير مملة ؛ الأمر الذى قد يثقل العبء الملقى على عاتقه ، وخاصة وأن عليه مسئوليات تعليمية أخرى .

* العيوب التى سبق ذكرها لا تتعلق بأدب الأطفال كمدخل لتعليم مهارات اللغة العربية ، وإنما تتعلق بأدب الأطفال كحركة وفن ينبغى الاهتمام به ، من حيث اختيار النصوص، والتأليف الموجه للطفل، والإحساس بأهمية الكتابة الأدبية له.

ثانيا : معايير اختيار المادة الأدبية للأطفال :

إذا كان اتخاذ أدب الأطفال مدخلا لتعليم اللغة القومية فى المرحلة الابتدائية يعد من بين أكثر المداخل قبولا فى تعليم اللغة فى تلك المرحلة ، فإن المادة الأدبية التى تقدم لتلاميذ تلك الصفوف ، وخصائصها ضمن أهم عوامل إنجاح هذا المدخل ؛ وخاصة وإنها تمثل العامل الذى يتحكم فى استجابات التلاميذ ، كما إنها تمثل الأساس الذى تقدم من خلاله التدريبات المتنوعة على مهارات اللغة ، وبالتالى فإن من الضرورى تعرف بعض المعايير التى يمكن أن تنتقى فى ضوئها المختارات الأدبية .

إن الأطفال يستجيبون بحماسة للقصص فهم شغوفون بتتبع حوادثها ، وتخيل شخصياتها ومعرفة ما يصدر عن كل شخصية ، وعلاقة الشخصيات بعضها ببعض، والنهاية التى تؤول إليها كل شخصية ، فإذا اختير من القصص ما يناسب فى الفكرة ، والخيال ، والمغزى والحوار واللغة ميول الطفل كان أثرها فى صالحه .

والطفل يجد فى القصص مجالات للمشاركة الوجدانية ، ويتعلم كثيرا من المعارف ، وآداب السلوك ، وخصائص الأشياء ، وقوانين الطبيعة والحيل المختلفة التى يمكن أن يتخذها الإنسان للنجاة من الأخطار والمآزق .

إن هناك عددا من الأمور ينبغى أن تراعى عند إعداد مواد أدب الأطفال ، ومن بينها وضع مادة أدب الأطفال على شكل مشكلات تستثير الطفل ، وتتحدى عقله ، وتفتح أمامه المجال كى يفكر تفكيرا علميا ، وتفسح المجال لخياله كى يتصور ويحلق فى عالم الخيال . وأن يتم عرض مواد أدب الطفل على أنها نتيجة تطور

لا يقف عند حد ، وأن تعمل على إتاحة التحدى للعقل بعرض المقدمات ثم النتائج، وإفساح المجال أمام الطفل للتجربة ، وتحرير عقليته من المحرمات الفكرية، والدعوة إلى فحص البيئة، بحثا عن خبرات جديدة ، وتدريب الطفل على الاستماع الناقد ، والقراءة ، والمشاهدة المدققة ، والترحيب بإبداء الرأى ، والدعوة إلى التفسير والتعامل ، والموازنة بين الآراء والحقائق ، وكشف العلاقات ، والدعوة إلى استخدام الخيال ، والمخاطرة العلمية المحسوبة للاكتشاف ، وقبل ذلك كله الاستمتاع بجمال الأدب .

أما معايير اختيار أشعار الأطفال ، فقد أشير إلى أنه ينبغى أن تكون المقطوعة الشعرية صدى لتجارب مر بها الأطفال ، وأن تكون ذات إيقاع موسيقى مؤثر ، يجذب الانتباه ، ويثير المشاعر ، وأن تتصل بمناسبة عامة ، وأن ترضى حاجة من حاجات الأطفال ، وأن تساعد على إحياء المواسم والاحتفالات والمناسبات ، وأن تثير حماسة التلاميذ ، وتجذب انتباههم ، وأن تكون فكرتها ملائمة للتلاميذ ، وأن تكون من الأوزان السهلة ، وأن تشتمل على بعض الصور الخيالية ، وأن تكون مناسبة من حيث الموضوع ، والحالة النفسية ، والنضج الإدراكى ، وأن تكون وثيقة الصلة بخلفية الأطفال ، وأن تحمل أفكارا وقيما تمد الأطفال بالتجارب والخبرات ، وتجعلهم أكثر إحساسا بالحياة ، وأن تكون رحبة الخيال ، وأن ترتبط بحواس الطفل، وأن تكشف عن جانب من جوانب الجمال فى الحياة والطبيعة .

وقد أشار (طعيمة ، 988 ص 53) إلى المعايير التى ينبغى اختيار قصص الأطفال فى ضوئها تلك المعايير المرتبطة بالموضوع ، حيث يشترط وضوح الموضوع، ومدى كشفه عن غرض الكاتب ، ومناسبته للمرحلة العمرية التى ألف لها ، ومدى جدارة الأفكار التى يشتمل عليها بأن تقدم للأطفال ، ومدى قدرة تلك الأفكار على جذب انتباههم وقدرة الموضوع على تنمية إحساس الطفل بالقيم . ثم من هذه المعايير : ما يرتبط بالعقدة ويشترط فيها أن يبنى الحدث حول موضوع القصة ، وأن

يقدم الحدث من خلال سلسلة تتطور فيها القوى بشكل مستمر ، وأن يبنى بعضها على بعض ، وأن ينكشف الصراع من خلال ترتيب منطقى ، وأن تكون الأحداث فعالة ، وأشكال الصراع معقولة . وفيما يتعلق بالشخصيات .. فإنه يشترط رسم الشخصيات بوضوح وإقناع ، وأن تقدم الشخصيات نفسها للقارئ بشكل يسمح بتقمصها ، وأن تتمتع الشخصيات بخصائص تمنحها الفردية ، وأن تعكس الشخصيات صورة القارئ كإنسان ، وأن تبعث الحياة فى الشخصيات وهى فى مختلف مراحل تطورها ، وأن يتسق التطور بشكل واقعى ، وحقيقى مع الجنس البشرى ، وأن يتم رسم الشخصيات لنقل القيم الصحيحة ، وأن تستطيع الشخصية التدخل فى أعماق القارئ . بينما يرتكز البعد الرابع الخاص بمعايير الأسلوب ، فى اشتراطه أن تكشف الكتابة عن تفرد أسلوب المؤلف ، وأن تكون هناك مؤشرات لأصالة المؤلف فى التعبير .

إن الأسس والمعايير التى ينبغى أن تراعى فى شعر الأطفال ومن بينها العناية بالفكرة التى يدور حولها الشعر ، بحيث تكون فى متناول إدراك الطفل ، وأن تشبع حاجاته ، وأن يكون فيها ما يثير حماسة الأطفال ، وينبغى اختيار المفردة السهلة ، والتركيب البسيط ، والابتعاد عن الضرورات الشعرية ، والصورة المناسبة لعالم الطفولة، والتى تنمى الخيال ، والتنويع فى الأوزان والقوافى ، وأن يشيع فى القصيدة الحب ، والمرح ، والتفاؤل ، وألا تتسع للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن ، واليأس وأن تكون أوزانها سهلة ، وبحورها قصيرة ، وأن تنمى الإحساس بالجمال .

وثمة معايير تتعلق بإخراج المادة الأدبية للطفل أوضحها (نجيب 1991 ص128) أن للألوان ، والإخراج أثرا كبيرا فى جذب اهتمام الطفل ، وشد الانتباه لما يقرؤه، سواء أكان شعرا أم نثرا .. فاعتمادا على ما تبثه الأشكال والألوان من أحاسيس تبهج الطفل وتجذبه ؛ فإنه إذا صاحبت هذه الأعمال الأدبية رسوم تعبر عما فيها من معان وصور ، من خلال تشكيل مبدع ، فإن ذلك يساعد الطفل المتلقى

على مزيد من التفاعل مع النص الشعرى المقدم إليه ، وكذلك ينطلق به إلى عالم أرحب من التصور والتخيل والتحليق مع تلك المعانى والأفكار التى قصها الأديب أو الشاعر ، هذا بجانب ما تضيفه هذه الرسوم من خبرة فنية تنمى حاسة التذوق التشكيلى ، التى يكتسبها الطفل من خلال مطالعته لتلك المعالجة التشكيلية .

وحتى يكون شكل الكتاب المتضمن للأدب مناسبا ومحققا للأهداف المرجوة فى أدب الأطفال ، تراعى الشروط الآتية :

* أن تكون الألوان متناسقة ، زاهية تجذب ميول الأطفال ، ويتم المزج بين الألوان بطريقة تعطى ألوانا عديدة واضحة الجمال .

* أن تزود الصفحات بالصور والرسوم ذات الألوان الجميلة والمنسجمة مع موضوعات الكتاب ، وأن تكون فى أماكن مناسبة من الصفحات ، وأن تتسم بالدقة والحركة والحيوية والنشاط .

* أن يكون مقاس "البنط" مناسبا ، ويتدرج مع العمر ، من بنط (36) فى المراحل الأولى ، وكلما تقدم العمر يقل نسبيا حتى بنط (24) .

* أن تكون الطباعة دقيقة ، ويتم ذلك بتصحيح البروفات ، وجمع الكليشهات، وإعداد الفورمة النهائية التى تدخل المطبعة . هذا بالنسبة للطباعة العادية ، أما أحدث أنواع طباعة كتب الأطفال ؛ فهى الطباعة " بالأوفست " والكمبيوتر .

يتضح مما سبق أن هناك تشابها كبيرا بين ما قدمه الباحثون والمهتمون بأدب الأطفال من معايير اختيار المادة الأدبية للطفل ، والواقع أن اختيار الأدب المناسب للأطفال يعد أمرا جوهريا فى نجاح مدخل الأدب فى تعليم اللغة القمية ، حيث إن ما يشتمل عليه الأدب المختار من لغة ، وأساليب ، وخيال ، وإثارة ، وأحداث ، وإيقاع موسيقى ، وغير ذلك يمكن أن يمثل بدوره مادة خصبة لاستثارة التلاميذ ، واندماجهم بشكل أكثر فعالية فى برنامج تعليم اللغة فى المرحلة الأولى . ويتطلب

هذا بالضرورة من التربويين السعى الحثيث من أجل انتقاء المواد الأدبية ، التى يكون بمقدورها تحقيق المتعة والاندماج فى تعليم مهارات اللغة .

إن من بين التجارب الناجحة فى اتخاذ الأدب مدخلا لتعليم مهارات اللغة فى المرحلة الابتدائية ما صممه التربويون فى كل من أستراليا ونيوزيلندا من برامج (Clay , 1979 , 40) . فعلى الرغم من أن المدارس فى نيوزيلندا ضمت عددا من التلاميذ ثنائى اللغة ؛ نتيجة كثرة المهاجرين إليها من فيتنام وجزر الباسيفيك ، إلا أن برامج تعليم اللغة الإنجليزية للمبتدئين فى هذين البلدين فى إطار مدخل أدب الأطفال كانت من أكثر البرامج نجاحا فى العالم واعتمد تعليم مهارات اللغة فى كل من أستراليا ونيوزيلندا على مدخل الأدب ، باستخدام المقطوعات النثرية ، والأناشيد الجيدة ذات الإيقاع الموسيقى الجميل ، والقصص المثيرة .

وقد أتاحت هذه الأنواع الأدبية الفرص لتكرار الأنماط اللغوية ، وتكرار بعض الكلمات على نحو منتظم ، وفى سياق طبيعى، مما أدى إلى أن لغة التلاميذ قد أصبحت أكثر نضجا ، فضلا عما قدمته القصص والأناشيد من تراكيب أتاحت للتلاميذ التنبؤ (Predictable Holdaway , 1979 , 25) وهو ما يؤكده المهتمون بعلم اللغة النفسى من ضرورة اتصاف المواد المقدمة للتلاميذ به ؛ لإعانتهم على إدراك كيفية فهم اللغة المكتوبة (Stein & Glenn , 1979, 53).

وتشير هولداواى (Holdaway) إلى أن برامج تعليم اللغة فى كل من أستراليا ونيوزيلندا قد وظفت الأدب من خلال القصص والأناشيد ، حيث تدرب التلاميذ على مهارات القراءة ، والكتابة والاستماع ، والتحدث ، كما أديرت المناقشات ، ومارس التلاميذ أنشطة فى الرسم ، والتمثيل اعتمادا عليها ، وقد كانت إعادة حكاية القصص من بين أبرز الأنشطة اللغوية التى مارسها التلاميذ داخل هذه الفصول ، كما ذكرت أن استجابات التلاميذ للمواد الأدبية المقدمة عبر أسابيع قليلة أصبحت أكثر تنوعا ، كما زاد تعقيدا ، فقد بدأ التلاميذ يتساءلون ، ويستوضحون ، ويستكشفون، وذلك لفهم المقروء .

وقد اتخذوا من البنى أو التراكيب السطحية للمقروء وسيلة لاستكشاف ما يحمله من معان ومضامين . وقد أقر التلاميذ بقيمة التراكيب ، فيما تتيحه من تنبؤ، مثلما تتيحه القافية ، والوزن من فرص واسعة لذلك ، ولم يتوقف الأمر عن حدود التفاعل مع المقروء لفهمه ، واستكشافه ، وإنما حاول بعض التلاميذ تقديم قصص وأناشيد من إبداعهم ؛ استرشادا بأنماط التراكيب اللغوية المقدمة لهم .

ولا شك أن تخطيط البرامج القائمة على الأدب وتنفيذها داخل الفصول على نحو عملى فى المرحلة الأولى ، يمثل تحديا هائلا من المعلمين ، وتتطلب مواجهة هذا التحدى إعادة تجديد حماسة المعلمين ، بالإضافة إلى التدريب الملائم الذى يؤهلهم للقيام بذلك ، وهو ما يلقى العبء على المؤسسات المعنية بإعداد المعلمين أو تدريبهم ؛ إذ من الضرورى تزويد هؤلاء المعلمين بالمعارف الكافية التى يدرك من خلالها هؤلاء المعلمون كيفية اكتساب التلاميذ مهارات القراءة والكتابة بوجه خاص ، ومهارات اللغة بوجه عام ، يضاف إلى ذلك ما يتطلبه تنفيذ البرامج القائمة على الأدب من تدريب عملى للمعلمين ، وقد يعد من الضرورى أن يدرك المعلمون الإجابة عن بعض التساؤلات، ومنها :

كيف يتعلم التلاميذ مهارات اللغة من خلال الأدب ؟

وكيف يتم تقويمهم ؟

وكيف يتم تنظيم الفصل الدراسى على نحو فعال ، مما يؤدى إلى الاستثمار الأمثل لما يقدمه هذا المدخل فى تعليم اللغة ؟ كما يتطلب تنفيذ معطيات مدخل الأدب وعى الإدارة المدرسية بخصائص هذا المدخل ومتطلباته ، بالإضافة إلى إتاحة الإمكانات المادية ، وفى مقدمتها مكتبة المدرسة ومكتبة الفصل .

إن أدب الأطفال Childrens literature هو الكلام الجيد الجميل الذى يحدث فى نفوس الأطفال متعة فنية ، كما يسهم فى إثراء فكرهم ، سواء أكان أدبا شفويا بالكلام أم تحريريا بالكتابة . غير أن أدب الأطفال يواجه إشكاليات عدة ، أولها أنه

يندرج فى إطار الأدب العام كما يرى البعض وأنه لا تعريف له يميزه عن أدب الكبار ، فهو يلتقى معه فى كثير من أنواعه ، وهو القصة والمسرحية والشعر والموسيقى إضافة إلى الكتب والصحف والمجلات ، غير أن هناك من يرى خلافا لذلك ، إذ إن غذاء عقول الأطفال ووجدانهم يختلف عما يقدم للكبار من حيث الموضوع والفكرة ؛ لأنهم يختلفون عن الكبار فى درجات التفكير والنضج والتذوق .

وعليه .. فإن الأدب الإبداعى الموجه للطفل له طبيعة تميزه فهو يرمى إلى أهداف متعددة تستغرق التربية الوجدانية ، وتنمية الإحساس بالجمال ، والتربية الخلقية ، وتنمية الثروة اللغوية ، والتذوق الأدبى ، وبث القيم فى نفوس الأطفال ، وتعديل سلوكهم ، وتنمية المهارات اللغوية ، ونحن بذلك نسهم فى بناء شخصية الطفل ، وتحديد هويته ، خاصة إذا أضفنا إلى أدب الأطفال ألوانا أخرى كالوصايا والمناظرات والرحلات واليوميات والفكاهات والنوادر والطرائف ، ناهيك عن الشعر الملحمى والتمثيلى والمحاورات ، وكتب المعلومات والسير والتراجم ودوائر المعارف والمعاجم المصورة . وكل لون من هذه الألوان له شكله الفنى ، وغايته المتعة والسرور ، بل إنه يوفر سياقا خاصا يراعى سمات الإبداع وينميها ، ويستثير المواهب لتشكيل الطفل الأديب الصغير .

وثانية هذه الإشكاليات أن أدب الأطفال كما يراه جل كتاب الأطفال عمل إبداعى ما عليه قيود وليست له معايير ، غير أن المنشغلين بعلوم التربية يرون أنه وسيلة هادفة ينبغى أن يسترشد صانعوه بطبيعة نمو الطفل وميوله وحاجاته ومشكلاته ومطلوباته التربوية والنفسية واللغوية والعقلية ، وأن تمس مادة أدب الأطفال حاجاته وميوله وقدراته حتى ينشط ويشارك ويقبل عليها بحماسة وشغف، وحتى يفهم ما يقرأ ، ويحقق هدفا أو يزيد من أهداف أدب الأطفال ، على اعتبار أنه أدب هادف له مغزاه ومعناه . وعليه فقد تواضع المعنيون بثقافة الطفل

والتربويون على معايير لكل لون من ألوان أدب الطفل ، يتم الأخذ بها عند النشر قوميا ودوليا ، كما يتم مراعاتها فى مسابقات أدب الأطفال ، وفى الأعمال المقدمة للطفل عبر وسائل الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية . " وحتى ندرك مسئولية التعامل مع عقل الطفل وقلبه ، وأن نرسم ونكتب بمشاعر طفل وبعقل وقلم وريشة فنان محترف ؛ لتبقى الأعمال الأدبية باقية فى وجدانه وذاكرته " ، وهى المقولة الخالدة لسوزان مبارك أم الأطفال .

وثالثة الإشكاليات فى أدب الطفولة هو انحسار مفهوم أدب الأطفال فى دائرة بلاغة اللغة وجمال التصوير والتعبير لتحقيق المتعة وشغل أوقات الفراغ ، غير أن الفكر التربوى الحديث يرمى إلى الاهتمام بالقراءة خارج المقرر ، بحيث يكتسب الطفل القارئ للأدب خبرات جديدة ، ومفاهيم معاصرة ، وإجابات متنوعة عن أسئلته وتساؤلاته تشبع شغفه بالمعرفة ورغبة فى معرفة أشياء جديدة فى إطار الثقافة العلمية والخيال العلمى لصياغة عقل الطفل وإكسابه مهارات التفكير العلمى والتفكير الناقد والإبداعى لمواجهة تحديات عصر ثقافة المعلومات ، وتنمية ذكاوات الطفل المتعددة كالذكاء المنطقى والرياضى واللغوى والتصورى والإدراكى والموسيقى والتوافقى والحركى والاجتماعى . وعليه .. فإن أدب الأطفال لابد أن يقوم على منهج علمى يوائم بين ما يحققه للطفل من إثارة شغفه للمعرفة وإضافة خبرات جديدة إلى شخصية الطفل وقيم غايتها تربية الأعماق وترقية الأخلاق لتشكيل وهندسة إنسان مصرى جديد لمجتمع مصرى جديد .

ثالثا : أدب الطفل المسلم :

إن أدب الطفل المسلم فن رفيع يمتع الطفل ويعده ويخاطب وجدانه وقلبه وعقله معا ، وهو فن يصور مواقف الحياة الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ويرسم صورا للحياة تقوم على القيم الإسلامية الخالدة والأسوة والقدوة مستخدما اللغة العربية الفصحى الميسرة بما تحمل من مشاعر وانفعالات وخيال بديع

وصور مؤثرة معبرة موجهة ، تبنى شخصية الطفل المسلم وتعمق هويته وثقافته ، وتعلمه فن الحياة الإسلامية السمحة(*) .

وأدب الطفل المسلم من خلال القصة أو المسرحية أو الشعر أو الأغنية وأدب الخيال العلمى يتفاعل مع هذا الأدب ويتجاوب مع معانيه ويتذوق صوره ويحلق مع أخيلته ويهتز مع انفعالاته ، إنه يعرف ويفكر ويسلك ويكون مفاهيمه وقيمه واتجاهاته وعاداته من خلال الأدب الإسلامى المقدم له ، وتنمو مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ، فتتفجر طاقاته الإبداعية وقدراته التعبيرية ، وينفتح عقله وقلبه على خبرات مباشرة وغير مباشرة تشكل شخصيته وتكون ذاته وتصقل تجاربه وخبراته وإبداعاته ، وتنمى عنده حب الاستطلاع وروح الفضول والتساؤل والتقليد والمحاكاة والتقمص والتوحد والتثاقف والقدرة على الإنجاز والتأثير والإجادة والبهجة والحيوية والتفاعل ، ويكتسب ذلك من خلال الأسوة والقدوة والمثال فى الحياة الإسلامية السمحة والأسس القويمة للشخصية المسلمة المنفتحة .

والأدب الإسلامى يوظف ثنائية اللغة والدلالة أو الخير والشر بالانحياز إلى جانب الخير وانتصار الحق ، ويرفض الانحياز إلى الشر والإثارة بدعوى حرية الإبداع دون ضوابط والانحراف بالإبداع إلى درك الرذيلة ، لأن الأدب الإسلامى المقدم للطفل يسعى لنشر الكلمة الطيبة وعدم التشنج أو مصادرة الآخر . وهنا نؤكد أن تسمية الأدب الإسلامى للطفل فى المستقبل لا تسبب إشكالية ولا ينبغى الدخول فى صراعات هامشية مع الآخر ، والأولى أن توجه الطاقات فى المستقبل إلى الاهتمام بكنوز تراثنا الإسلامى قديمه وحديثه على حد سواء .

إن العقبات التى لا تزال تواجه أدبنا الإسلامى المقدم للطفل المسلم تتمثل فى ضعف الأمة الإسلامية ، وتعدد الخطابات السياسية والانتماءات الحزبية التى

(*) هذه الدراسة قدمت إلى " ندوة منهج الأدب الإسلامى فى أدب الأطفال " رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، الرياض ١٤٢٦هـ .

تتحكم فى الفكر والأدب ، ونتوقع فى المستقبل التزام الخطاب السياسى للأمة بالمفهوم الإسلامى الذى يجمع ويؤلف وينقل أبناء المسلمين إلى أمة لها تاريخ وأمة لها مستقبل ، من أجل مسلم جديد منفتح للألفية الثالثة يمتلك الرأى والرؤية، ويمتلك ثقافة الحوار الناضج والتفاوض القائم على القيم والأخلاق الإسلامية الخالدة .

إن المشاركة فى بناء المستقبل هى إحدى المسئوليات الفردية والجماعية للمهمومين والمهتمين بأدب الطفل المسلم . ولكى تكون تلك المشاركة فاعلة ، يترتب أن تكون قد تبلورت فى العالم الإسلامى رؤى فكرية إسلامية ووعى بالمستقبل ، الذى يصعب التنبؤ به نتيجة التسارع المعرفى والتقنى فى العالم ، باعتباره قرية كونية صغيرة مسامية الجدران ، ولعل من أهداف ذلك تنمية الطفل المسلم تنمية وجدانية عاطفية عقلية اجتماعية إسلامية صحيحة عبر أدب إسلامى ، يقدم له مستخدما آليات التقدم العلمى والتقنى التى يعايشها فى الألفية الثالثة .

إنه لا يصنع المستقبل فى عصر الهيمنة الثقافية والتغريب الفكرى وتوطن العولمة إلا ببناء وجدان الطفل المسلم مشاعره وعواطفه وإحساساته على الحق والخير والجمال ؛ لأن العروج بالطفل إلى عالم الجمال منذ الصغر يسمو به إلى عالم الخير ، فيتحلى بالسلوك القويم ، وحث الطفل المسلم على تذوق الموسيقى ، باعتبارها رافدا من روافد أدب الأطفال ، تيسر له معرفة مكمن الجمال وتصوره واكتساب رهافة الشعور وحب الخير والجمال ونبذ العنف والقبح .

ومن المطلوب تعليم الطفل حسن الإصغاء وأداء الألعاب الشعبية الموسيقية ، فيتسق وجدانه من خلال عناصر الموسيقى من إيقاع ولحن ، فالإيقاع هو الحركة خلال الزمن وهو نبض الحياة التى خلقها الله ، أما اللحن فهو نغمات متعددة تولد فى النفس الرغبة فى الغناء ، فى عصر طفل الكمبيوتر المتفتح على ثقافات وحضارات، ومن خلال شبكة الإنترنت يرى ويسمع نماذج متنوعة تحكى قصصا

تربط بين الآلات وأبطال القصة ، ونشر الألعاب الموسيقية الشعبية العربية من خلال برامج متلفزة وعزف المؤلفات العربية التراثية والحديثة وإذاعة أغان هادفة لتألفها أذن الطفل ، ونشر الوعى الموسيقى من خلال كتيبات صغيرة ، واستخدام كشك الموسيقى فى الحدائق لتكوين وجدان الطفل المسلم الصغير .

إن أدب الطفل المسلم لابد أن يكون مضمونه ثقافة إسلامية منفتحة ، مع إيلاء الأهمية لمنابعها من حيث التراث الفنى والجمالى والفكرى والعلمى ، والبحث فى داخله عن مقومات النهضة وملامح الانتماء ، وتأكيد الهوية الإسلامية لا من حيث المعرفة ، بل وإيقاظ الوعى بها لدى النشء فى ظل العولمة الثقافية ونزعات الحداثة وما بعد الحداثة المصدرة إلى العالم الإسلامى صغاره وكباره على حد سواء ، بغية ذوبان الثقافة الإسلامية وتغريبها وتبعيتها للهيمنة المفروضة علينا ، وللمد الثقافى الغربى الطاغى الذى أوجد مناخا تغريبيا ساهم فى تشويه الجانب السلوكى والوجدانى لأطفال المسلمين، من خلال ثقافة العنف والجنس والميكى ماوس والسوبرمان ، حيث تختفى القيم الإسلامية الأصيلة والمضامين الأخلاقية السامية التى هى أساس الزاد الثقافى للطفل المسلم وحيث الانبهار بالآخر والشعور بالدونية .

إن أدب الأطفال يتجه فى المستقبل نحو تثقيف الطفل المسلم جماليا من خلال الفنون التشكيلية والتراث الفنى الإسلامى ، وحيث يتعرف الطفل المسلم ذلك من خلال العمليات الإبداعية عن طريق الفن وتذوقه الجمالى لعناصر خلق الله من حوله فى الكون ، وكيفية تطوير هذا التذوق إلى عمل فنى ، وشحذ خياله ورؤيته للأعمال الفنية المبدعة عبر التراث الإسلامى الذى ارتقى وازدهر عبر التاريخ ، وإدراك المقومات التى أسهمت فى البناء الثقافى للفنون الإسلامية التى ازدهرت داخل إطار الحضارة الإسلامية ، وبالقدر نفسه يتسع أدب الطفل المسلم فى مستقبله باستيعاب التقدم التكنولوجى وتوظيفه لخدمة الفنون الإسلامية التى يستوعبها أدب الطفل المسلم .

إن أدب الطفل المسلم يمثل ثقافة جزئية تؤثر على التكوين الإبداعى والعقلى للطفل، وعليه فإن الانتقال بأدب الأطفال من ثقافة الإيداع إلى ثقافة الإبداع يتطلب وضع مادة أدب الأطفال على هيئة مشكلات ، وعرضها .. على أن الأفكار والمعلومات هى نتيجة تطور لا يقف عند حد ، وفتح المجال أمام الخيال الابتكارى والتفكير المستقبلى وإتاحة التحدى العقلى بعرض المقدمات ثم النتائج ، وإفساح المجال للتجديد من خلال حالات كثيرة ومتعددة ، وعرض الكليات قبل الجزئيات، واستخدام اللغة الفصحى الميسرة التى تحقق للمسلم الصغير التشجيع والتقبل ، واستخدام لغة الحوار والأساليب الإنشائية من استفهام وتعجب نفى وإثبات وأمر ونداء ، بغية مشاركة القارئ للكاتب ، والدعوة إلى فحص البيئة بحثا عن خبرات جديدة .

وأدب الطفل المسلم يمتد إلى تنمية التذوق العلمى الذى يعنى بتذوق لذة الكشف العلمى لدى الطفل ، و جعل إحساساته العلمية مرهفة قادرة على تلمس الأساليب القادرة على قيادة إنجازات الحاضر العلمية إلى كشوف و اختراعات يحتمل حدوثها فى المستقبل العلمى للبشرية ، وإذا كان التذوق متصلا بالمشاعر والعقل معا ، فإن وظيفته غير مقصورة على اللذة العلمية ، بل تتجاوز ذلك إلى أمرين فى الحياة العلمية والأدبية معا للطفل المسلم : أولهما تنمية الحدس العلمى ، وثانيهما تنمية القياس العلمى .

أما الحدس العلمى فهو القدرة على الربط بين إنجازات الحاضر العلمى و ما يمكن أن تؤول إليه ، وأما القياس العلمى فهو مهارة تجسيد الحدس ، لأن كل قياس يقتضى إعمال الفكر بغية اكتشاف قوانين الطبيعة التى خلقها الله سبحانه وتعالى ، ثم القياس عليها بغية الإيمان بقدرة الخالق العظيم و وحدانيته وتكريمه للإنسان على سائر المخلوقات .

إن قصص الخيال العلمى تساعد فى إنشاء الفكر العلمى وتكوين المهارات العلمية و الاتجاه العلمى الذى يشمل حب الاستطلاع و التفتح الذهنى وتقدير جهود علماء المسلمين الأولين ، واستعذاب المعاناة وتحمل المشاق فى البحث وحل المشكلات وتوجيه الميل العلمى فى القراءة وتطبيق هوايات علمية ، كل ذلك يدعو إلى إثراء مجال قصص الخيال العلمى الإسلامى ، سواء أكانت كتبا أم قصصا أم مجلات ، أم برمجيات متلفزة ، أم عن طريق الكمبيوتر مع ضرورة ترشيد المنتج الأجنبى المدبلج أو المترجم فى تقديم أدب إسلامى علمى و قصص ومغامرات وخيال علمى منضبط وليس جامحا ؛ الأمر الذى يتطلب شركات إنتاج وقنوات فضائية إسلامية متخصصة لأطفال المسلمين .

تغير الطفل المسلم اليوم ، واختلفت طفولته عن طفولتنا ، لأن هؤلاء الأطفال خلقوا لجيل غير جيلنا ولزمان غير زماننا ، فاتسعت مساحة إدراكه وتنوعت مكونات ثقافته، وصار يتساءل عن أشياء قد لا نعرفها أو لا نملك كل الإجابات عنها ، ومن هنا تعاظم دور كل من كتاب الطفل الورقى والإلكترونى معا ، والبرمجيات التى تعنى باستخدام اللغة العربية الفصحى الميسرة لمواجهة الخطر القادم من السماوات المفتوحة والتى تهدد أطفالنا فى ثقافتهم وأدبهم ؛ ذلك أن المعرفة تتدفق بسرعة عبر منظومة متكاملة من الوسائط التعليمية الكمبيوتر والتلفاز والإذاعة . وهنا نؤكد إن الاستثمار فى مرحلة الطفولة ؛ باعتبار أن الأطفال هم اللبنات الأساسية للتقدم الاقتصادى والاجتماعى والتنموى الشامل الذى تصبو إليه فى المستقبل لتجسر الهوة المعرفية بيننا و بين العالم المتقدم ، لتصبح الكلمة المطبوعة أحد مصادر المعرفة وليس المصدر الوحيد للمعرفة .

توسيع دائرة خيال الأطفال عبر ما يسمى بالذكاء اللمسى للوحة مفاتيح الكمبيوتر ، وتنمية التربية الجمالية لدى الطفل المسلم من خلال استخدامه برامج الكتابة والتنسيق وتنمية قدراته التشكيلية من خلال برامج الرسم والتلوين ،

واستخدام مهارات التعلم الذاتى عن طريق استخدام الكتاب الإلكترونى وهو ليس بديلا عن الكتاب المطبوع وبرمجيات الطفل والرسوم المتحركة وتدريب الطفل على البحث وجمع المعلومات من خلال الإنترنت ودائرة المعارف والأطالس والمعاجم .

أدب الأطفال يجمع بين التعليم والتعلم والترفيه والتثقيف من خلال الألعاب التعليمية والتربية الموسيقية فى تكوين وجدان الطفل المسلم ورفع مستوى التوافق النفسى ، من خلال الرسوم والقصص الإلكترونى المقدمة للطفل ، وغرس التعاليم الجمالية والسلوكية التى يتبناها الأدب الإسلامى من خلال دروس التربية الفنية ومن خلال المضامين الثقافية لحكايات الأطفال المستمرة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

تنمية الأطفال غايتها تنشئة جيل مسلم جديد يتمتع بالصحة الآمنة والمرونة العقلية من خلال تنمية الأخلاق وتربية الأعماق التى تعينه على التفاعل بإيجابية والمشاركة المنتجة فى المجتمع ، وتحصين الإنسان المسلم الصغير بمهارات التفكير النقدى وامتلاك المعرفة العلمية ، وتوظيف ثقافة الإبداع والثقافة التكنولوجية حيال الأحداث الجارية والمنعطفات التى تواجه عالمنا الإسلامى .

إن غاية أساسية من غايات أدب الطفل المسلم أن يقف من كل ما يسمع ويشاهد ويرى موقف المتسائل الباحث عن البرهان ، والدليل ، وأن يكون مفكرا باحثا مبدعا .

الانتقال بأدب الطفل المسلم من مستوى الأدلة الخطابية والخطاب الأدبى المنمق والسطحى إلى مستوى الرؤى العلمية و المعايير العالمية يجعل من الندوات والمؤتمرات والأبحاث والدراسات العلمية والتربوية والنفسية والاجتماعية الإسلامية مطلبا أساسيا وضروريا لصياغة طفولة جديدة سعيدة مستقرة وآمنة بلا قلق أو توتر ، يتم إعدادها فى إطار استراتيجية إسلامية موحدة ، استراتيجية

مستقبلية تقوم على مجموعة من السياسات التعليمية والثقافية و الاجتماعية المتكاملة مع وضع آليات لتنفيذها وتقويمها فى ظل المتغيرات المتلاحقة فى عالم متغير .

أدب الطفل المسلم يتطلب فى يومنا قبل غدنا إنشاء بنية معلوماتية ، تقوم على أساس الحواسب الآلية فى صورة شبكات للمعلومات المختلفة وبنوك المعلومات التى تؤدى إلى تحسين وسائل تبادل المعلومات و تعميق الوعى و الفهم ، كما يتطلب الاستخدام الصحيح للمعلومات وأدوات الاتصال ؛ مما ينعكس على البرامج المتعددة فى إطار أدب الطفل المسلم والتعلم عن بعد والمكتبات الشاملة التى تتعامل مع معرفة متغيرة متجددة وتسهم فى خلق المعرفة الجديدة التى تشكل العقلية التحليلية الناقدة . وكل ذلك يضمن لأدب الطفل المسلم مناخا ثقافيا جديدا يتسم بالتركيز على إنتاج المعرفة وتنوع نظم التفكير فى ظل تنافسية واسعة ، فى مقدمتها قضية تشكيل الطفل المسلم المبدع والمبتكر فى عالمنا الإسلامى الكبير .

المحافظة على الذات الثقافية والهوية الإسلامية مع المواءمة بين حتمية الانفتاح على المتغيرات العالمية والمستجدات من جهة ، والمحافظة على المقومات الأساسية للإنسان المسلم والمجتمع المسلم من جهة أخرى . وهنا فإن أدب الطفل المسلم يضع فى مراكز اهتماماته العقيدة الإسلامية ، والموروث الثقافى الإسلامى ، واللغة العربية الفصحى الميسرة خلال الألوان الأدبية المقدمة للطفل المسلم مع التركيز على الدراما والحوار والمؤثرات الصوتية وإمكانات الكاميرا المتلفزة .

ولاشك فى أن تقديم نماذج من مفكرى الإسلام وعلمائه وأدبائه وأبطاله من خلال مرحلة الحياة ، التى عاشها فى كل علم من أعلام الإسلام السابقين والحاليين يعطى الأسوة و القدوة والمثال أمام أبناء المسلمين وبنات المسلمين ، شريطة أن نزودهم – ليس فقط – بالمعلومات ، بل بالمهارات والقدرات والقيم والاتجاهات والعادات الإسلامية ، التى أضاءت حياة هؤلاء المسلمين الرمز والأسوة . فتلك

هى المفجر الحقيقى للطاقات والإبداعات ؛ حتى يصل الطفل المسلم إلى أقصى ما تسمح به قدراته .

القراءة للأطفال ومع الأطفال منذ مرحلة الطفولة المبكرة داخل الأسرة قضية أساسية فى تشكيل البناء النفسى للطفل المسلم وغرس الميول القرائية والأدبية ؛ ذلك أن الخبرات الأولى فى حياة الطفل تؤثر بعمق فى اتجاهاته وسلوكه مستقبلا ، وتظل تلقى بظلالها على ما يستتبعها من نمو ، والأنا هو مفهوم يشير إلى قدرة الإنسان على تنظيم وتوحيد خبراته بطريقة فعالة ، إنما تكمن جذوره فى التنظيم الاجتماعى الذى تمثل فيه الأسرة أول خلية ، وعلاقة الطفل بالآخرين توضح معالم شخصيته وتضع حجر الأساس فيه .

وهنا لابد أن نؤكد دور الأب ووظائفه فى الأسرة المسلمة وحياة الطفل المسلم، فهو ينظم المسافة بين الأم والطفل ، كما يقوم بالضبط والتنظيم الذى يقتضى إرجاء الإشباع ، أى الانتقال من الأم وهو المستوى البيولوجى إلى الأب وهو المستوى الحضارى والسلوكى، وعلى الطفل أن يجمع بين هذين المستويين فيتحرك من الإيقاع البيولوجى إلى الإيقاع السلوكى من خلال ما يسمى بالتوحيد والتقليد. وهذا الطفل الذى نرجو منه أن يحقق المقصود الإلهى من الخلق البشرى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة البقرة الآية (30) .

انفتاح أدب الطفل المسلم على ثقافات الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية تفتح باب الحوار الذى يعزز قيم الإسلام وفى مقدمتها قيم المحبة والسلام والاعتراف بالآخر، ويتم ذلك من خلال الحكاية باعتبارها نافذة مهمة للدخول إلى عالم الطفل المسلم خاصة الحكاية الشعبية والتى رصدها الفولكولوريون على

المستوى العالمى أو الإقليمى أو على مستوى قطر معين ، أو جمع حكاية بعينها من دول متعددة مما يستهدف التقريب بين الشعوب ثقافيا وفتح باب الحوار فيما بين أطفالها لمناهضة أسلحة الدمار الشامل ، ولتحقيق السلام و العيش المشترك بين الأمم فى أمن و أمان ..

كما أن هذا الحكى الشعبى العالمى يزود أطفال المسلمين بقيم أخرى ، هى : دقة الملاحظة ، والاستمتاع بنمو الحديث وتعقده ثم حله ، والتحلى بقيم الصبر ، والإحساس بأهمية الاعتزاز بالهوية وبأن كل البشر خلق من آدم وآدم من تراب والشعور بالثقة بالنفس ، والبحث عن المعرفة أينما وجدت باعتبارها ضالة المؤمن ، وتعرف ثقافة الآخر ، وتقدير الثقافة الإسلامية ، والتواصل الثقافى بين المسلمين و أهل الذمة ، وتقدير الإنسان فكلنا من ذكر وأنثى جعلنا الله شعوبا وقبائل لنتعارف ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ثم إن هذه الحكايات تربى لدى المسلم الصغير الوعى النقدى بالنص المكتوب ثم الاستقصاء لمعرفة المزيد ، مما يولد لدى الطفل المسلم حب التعلم و استمراريته مدى الحياة.

استخدام التقنيات المعاصرة فى الإنتاج البرامجى المتلفز المتخصص فى القصص الإسلامى والعلمى و برامج الخيال العلمى المناسب للأطفال إذ يجب أن ينصب الاستخدام على هدف رئيس مفاده : تنمية القدرات العقلية والإبداعية ومهارات التواصل وتنمية روح الإبداع والابتكار عند الطفل فى إطار إسلامى منفتح وتحفيزه على مواصلة اكتساب المعرفة .

ولتحقيق ذلك سيتم الارتكاز على مادة علمية لإنتاج مواد وبرامج متلفزة إبداعية موجهة للأطفال المسلمين مثل : فكرة درجة الشفافية ومعاملات الانكسار، وخاصة أشعة الليزر غير المرئية فى قطع المعادن ، وفكرة انعكاس الضوء فى المرايا ، وفكرة تكبير أو تصغير المرئيات بواسطة المرايا الكروية أو العدسات ، وفكرة الاستشعار عن بعد ، والتصوير فى الظلام بالأشعة تحت الحمراء . وكلها أفكار

علمية بحتة تخدم أدب الطفل المسلم ، ويمكن أن تكون محاور لبرامج ومواد تليفزيونية تدور حول خوارق للطبيعة يقوم بها بطل العمل ، وسيكتشف الصغير عندما يكبر أن هناك أساسا علميا سليما محوره الأساسى قدرة الخالق العظيم ، وغايته إحداث النفع لأبناء المسلمين فى المستقبل ، وكل هذا العطاء العلمى المقدم للطفل المسلم فى إطار إسلامى منفتح ، يتسم بأنه شائق وبأسلوب جذاب فيه المسلم الصغير بطل وقوى وخير ومبتكر ومبدع ، وكل ذلك يبنى على قاعدة ثقافية علمية إسلامية إعلامية متكاملة وغنية ، مفادها أن أطفال المسلمين هم الأمل لمستقبل هو بعون الله تعالى – الأفضل .

أدب الطفل المسلم سيهتم فى المستقبل بالعودة إلى جذور الثقافة العربية الإسلامية التى تؤكد فكرة الحوارية السردية ؛ حيث يتعامل الطفل القارئ مع القصة بشكل يمكنه من ربطها بقصة أخرى عندما ينتهى من قراءتها ، وهكذا فى حركة مستمرة مثلما حدث فى كتاب (كليلة و دمنة) لعبد الله بن المقفع ، وكتاب (ألف ليلة و ليلة) . وهذه العودة لأسلوب الحوارية السردية فى إطار إسلامى يساعد الأطفال على الاعتزاز بجذور الأدب الإسلامى ، والاستمتاع بالنقلات الأدبية من قصة إلى قصة أخرى ترتبط بها فى سلسلة طويلة من الأحداث النامية المتطورة المتداخلة دائما ، واكتساب أسلوب ابتكارى خصب فى تحصيل المعرفة الإسلامية والقيم الأخلاقية وتوظيفها واكتشاف العلاقات الخفية بينها ؛ بهدف انطلاق خيال الطفل القارئ نحو آفاق وأحداث ونهايات مفتوحة للقصص المتتابعة المتدفقة فى شخوصها وأحداثها ومغازيها ومراميها .

تبنى كتب الأطفال التى تقدم لأبناء المسلمين فكرة توظيف مختلف حواس الطفل القارئ والتفاعل مع الكتاب فى إطار تكنولوجيا كتب صغار الأطفال التى تستخدم الرسوم تتجسد وتتحرك واللمس بالأصابع ، والاستمتاع بالموسيقى والأصوات والكلمات ، بل بالشم أحيانا . وبهذا الأسلوب يدرك الطفل ويتعلم

ويستمتع ويبدع ، وهناك كتب الألعاب التى تتجسم وبها أجزاء تتحرك أوتصدر عنها أصوات أوموسيقى أو يتحسس الطفل صفحاتها التى تصنع ليس من الورق فقط ، بل من القماش أوالبلاستيك الشفاف ليكون الطفل صورة جديدة أو ألوانا جديدة عندما تنطبق صفحة على أخرى ، كما أن هذه الكتب القائمة على التكنولوجيا المتقدمة تلقى أسئلة على الطفل القارئ وترشده إلى أسلوب التفاعل مع الكتاب ويضيف ما يراه إلى ما قرأه ليصل إلى الإجابة .

وهناك كتب قصصية تقدم رسوما تدل على كل شخصية ويتكرر الرسم كلما جاء فى النص ذكر الشخصية بطريقة إيجابية يستخدم القارئ الصغير البصر واللمس والسمع . وهذه الكتب القائمة على استخدام الحواس تنمى القدرة على الملاحظة ، وتعرف الكل من خلال الأجزاء ، والاستمتاع والتذوق الجماعى والأدبى ، وهى فوق ذلك تعلم البحث والمقارنة والاستنتاج عن طريق الحواس والتفاعل الإيجابى مع الكتاب .

أدب الطفل المسلم سيتجاوز الأحكام الشخصية والأساليب التلقينية التعليمية والمواعظ و العظات إلى إدخال منطق النقل والعقل فى آليات ذلك الإبداع الأدبى ، وكذا إدخال منطق علم نفس الطفل والتربية وفق أطر مرجعية أكاديمية ووفق منهج أو أكثر من مناهج التفكير العلمية فى إطار من الموضوعية والتنظيم والمرونة ، وبذلك يمد علم النفس وعلم التربية وعلم الاتصال وعلم الاجتماع والفكر الإسلامى الحنيف أدب الطفل المسلم بأسانيد فى إثراء متواصل ؛ إذ إن دور العلم سيظل فى تقدم مستمر .

وهو فى كل ذلك سيؤكد دوما جذب آذان الأطفال وعيونهم إلى إبداع جميل يبعث على المتعة و السرور ، بعيدا عن الأدب الخالى من المعانى الأخلاقية السامية ، بل أدب يهدف إلى التعامل مع العقل و الوجدان معا ، ومن خلال فرضيات حول مستقبل البشرية أو حول الكون والظواهر الأخرى فى صيغ خيالية وعاطفية ،

وربط العالم بالتغيير والتأمل فى التطورات المستقبلية لتحقيق المزيد من التخيل والمرونة فى عقول الأطفال ، ونشر حقائق خلقية فى أسلوب فيه كثير من التصور الفنى ، وأفكار مختلفة عن صور المستقبل ودفع عقول الأطفال وهم سعداء مبتهجون إلى التفكير فى آفاق أكثر اتساعا ، كل ذلك فى إطار رؤية تخيلية للعلاقات والأحداث والأشياء والأشخاص وليصبح شعارنا : من أجل أن نعيش معا بمعطيات فكر إسلامى منفتح ، وأن نتعامل ونتواصل مع جميع الشعوب بطريقة سليمة إنسانية متسامحة نبيلة سامية .

إنتاج أفلام متلفزة كارتونية إسلامية الفكرة و المضمون ، بتوظيف التقنيات المتقدمة ، وكذلك كتابة سيناريوهات أفلام كارتونية إسلامية من خلال القصص والحكايات والشخصيات الفذة التى تغنى تاريخنا الإسلامى الحضارى ، وتراثنا الإسلامى نقدمها لأبناء المسلمين ، حكايات عن أبطال وأعلام وعلماء مسلمين . إن المستقبل سيثرى أدب الطفل بشخصيات كرتونية إسلامية يتجمع حولها أطفال المسلمين ، يرتشفون منها أخلاق إسلامية وعادات إسلامية وفكر إسلامى وثقافة إسلامية .

الاهتمام بمسرح الطفل المسلم باعتباره أحد الوسائط إلى أدب الطفل ، ومن المتوقع إقبال الأطفال على فنون المسرح الذى يستهدف تنمية روح العمل الجماعى ، ومعرفة الفنون المختلفة ، ودعم التكوين النفسى لشخصيات الأطفال المسلمين ، وتنمية التذوق الفنى لديهم للارتقاء بالذوق العام على المدى الطويل ، ناهيك عن إشباع هوايات التمثيل والإلقاء والرسم والموسيقى والمناظرة ، وزيادة خبرات الأطفال ومعلوماتهم العامة ، وغرس القيم الإسلامية السامية ضمن أطر حافلة بالموسيقى والغناء والإيقاع الراقص وكلها يتم فى بناء درامى تتوافر له عوامل الإثارة و التشويق والخيال ويجد الطفل نفسه فى المسرح ، حيث إن عالم الطفولة عالم مسرحى يغذى الطفل المسلم فنيا وأدبيا ووجدانيا ، وهو يضع الأطفال أمام

مواقعهم ومن خلال الاندماج والمشاركة يدركون أن لهم دورا فى تغيير الواقع ، ويقودهم إلى التفكير واحترام المثل النبيلة و الالتزام بها ، وإرهاف إحساسهم وعواطفهم وإيقاظ شعورهم وإمتاعهم وإدخال الجمال إلى حياتهم وإعدادهم لكى يكونوا طاقات خلاقة منتجة ، ويحفزهم نحو تجارب جديدة لتشكيل مسلم مفكر مشارك متفتح عالمى .

إن التفكير فى أزمة اللغة العربية ، والتدنى فى استعمال الطلاب لها على ألسنتهم وعلى أقلامهم تختلف نتائجه تماما عن نتائج الانفعال بتلك الأزمة واستعمال لغة الخطابة حولها ؛ ذلك أنه من الظلم البين اختزال تلك المشكلة واعتبارها أزمة فى المنهج المدرسى ، وتحميل المدرسة وحدها المسئولية عن هذا التدنى فى استعمال الطلاب العربية الفصحى استعمالا سليما فى القراءة والكتابة والتحدث ، والوصول بالطلاب إلى الكفاءة اللغوية وكفاءة الاتصال .

إن السبب فى صعوبة هذا الاختزال من حيث التشخيص والعلاج ترجع إلى أن اللغة الفصحى منطقيا هى وسيلة التعبير عن الفكر ، وتأتى عملية النطق والكتابة تالية لعملية التفكير ، وأنه كيفما يكون التفكير تكون اللغة ، فالتفكير السليم يؤدى إلى لغة فصحى سليمة ، وعليه فإن تصويب مسار اللغة العربية الفصحى على ألسنة الطلاب وأقلامهم ينبغى أن يسبقه تصويب فى مسار التفكير .

إن الاهتمام بالكفاءة اللغوية فقط يترتب عليه العناية بقواعد اللغة الفصحى وضوابطها ، والاهتمام بحفظها واستظهارها ، ويصبح التعليم اللغوى حينئذ تعليما عن اللغة لا تعليما للغة باستخدام اللغة ، كمن يعلم السباحة بالحديث عن قواعد وقوانين السباحة ولا يمارس السباحة . إن تعليم اللغة العربية يتحقق من خلال ممارستها نطقا وقراءة وكتابة واستماعا قبل ذلك كله ، وهنا يخضع تعليم اللغة العربية الفصحى لاستعمال اللغة وفى إطار كفاءة الاتصال المعنية بالتفكير والتعبير معا . وهو ما يعنى أن الحديث عن أزمة اللغة هو فى الوقت ذاته حديث عن أزمة

التفكير ، وهو حديث عن لغة تواصل تتسم بالسلاسة والبساطة والعمق يسبقها تفكير سلس مرتب وعميق .

إن دعم وتقوية لغة التواصل .. لغة التعبير والحوار والعلم أمست مطلبا أساسيا وضروريا فى مدارسنا وجامعاتنا فى الدول العربية ، والتى تتسم بأنها لغة حية ومشتبكة مع الواقع أى لغة تواصل ، تستخدم فى مواقف لغوية طبيعية ، لغة تنتج علما وفنا وأدبا تنشره على العالم لتصبح متداولة ، بأن نحرر أذهاننا مما علق بها من جراء التعامل المقدس والكهنوتى مع اللغة العربية الفصحى والسعى نحو تشريحها ومعرف أسرارها وأوجه إعجازها .

إن اللغة العربية الفصحى ظاهرة لها سياقها التاريخى ، وبالتالى فإن الظواهر والمفاهيم والوقائع لها تاريخها ، وعندئذ يمكن أن نتواصل بلغة لا تقف معزولة عن سياق واقعها ، لغة عربية فصحى ميسرة نعبر بها نتحاور وننتج علما ينطق بها ، لأنها هويتنا قبل أن تكون لسانا عربيا ننطق به ، هى عقل عربى نفكر من خلاله .

إن ما يرتبط بذلك هو الزعم بأن النصوص الأدبية المختارة فى الكتب المدرسية تبعث على النفور من القراءة ، وأن الطلاب لا يتذوقونها ، يضاف إلى ذلك أن مؤلفى الكتب المدرسية يلتفتون إلى السلامة اللغوية والنحوية دون النظر إلى جماليات النص، وأن الطرق التى تدرس بها هذه النصوص تتسم بالجفاف ، وأن غايتها الحفظ والاستظهار والتلقين .

ومن واجبنا هنا تعديل المناهج بإدخال نصوص مشهورة بجمالياتها العالية ، ووضع خطة للقراءة خارج المنهج ليقترب الطلاب من النصوص بحب وشغف ؛ كى نرفع من مستويات تذوقهم ونظرتهم إلى الجمال ، كما أن هناك من يؤكد أن التفسير الأحادى للكتاب المدرسى فيه مصادرة لعقل الطالب ، كما أن بعض النصوص الأدبية فوق مستوى استيعاب الطلاب ، وكذلك مظاهر الجمال تفوق مقدرات الطلاب ، وأن المسابقات الأدبية لا تعرفها معظم مدارسنا فى

الدول العربية ، وأن الطلاب محرومون من اللغة الثالثة التى هى العامية الراقية التى نجدها فى روائع بيرم التونسى وصلاح جاهين ، وفؤاد حداد ، وعبد الرحمن الأبنودى ، وسيد حجاب ، وأن تأليف كتب الأدب العربى يجب ألا يستقل بها موظفو وزارة التربية والتعليم ، بل يشاركهم الشعراء ونقاد الأدب لانتقاء أحلى ما فى الأدب العربى من نصوص شعرية ونثرية ، وأن من الأفضل وضع أكثر من عمل أدبى فى مكتبة المدرسة ؛ حتى يختار الطلاب منها ما يناسب كل منهم .

إن المناهج الدراسية فى مجال تدريس الأدب العربى فى مدارسنا على امتداد أرض الوطن العربى الكبير تقدم للطلاب أدبا حقيقيا ، فهى تضع شرط الجمال الأدبى قيمة جوهرية لا تقل إن لم تزد أهمية عن الجانب اللغوى التعليمى والمحتوى الفكرى والأخلاقى ، كما أن نصوص الأدب المدرسى تنتقى متلائمة مع القدرات العقلية والمعجم اللغوى لكل مرحلة سنية ، بحيث لا تنفر صعوبتها اللغوية وتعقيدها الفكرى الطلاب فى دراسة اللغة العربية وآدابها ، كما أنها لا تختار فى إطار سذاجة فكرية تناسب طلابا أصغر سنا حتى لا تشكل عاملا منفرا يحقق الملل للطلاب .

إن دراسة الأدب الحقيقى خلال البرامج الدراسية فى سنوات ومراحل التمدرس تحقق التأهيل الثقافى للطلاب ، وتشجع على تنمية عادة القراءة والتذوق الأدبى ، وتنمى قدراتهم الإبداعية وتبنى التأسيس الأول للتذوق الأدبى الذى يتم على مقاعد الدراسة . إن الطلاب وخاصة فى المرحلتين الإعدادية والثانوية شديدو الحساسية من الناحية الوجدانية لأنهم فى مرحلة المراهقة ، وهم مولعون بالتجارب العاطفية ، والتعلق بالبطولات والأبطال ، وتصل بهم حماستهم الوطنية أحيانا إلى درجة عالية من التجرد وحب التضحية .

إن حسن انتقاء النصوص الأدبية يتأتى بالتناغم مع دوافعهم فى مجال المعرفة والأدب بالأنواع والأجناس الإبداعية فى مجالات الشعر والقصة والرواية

والمسرحية والسير الذاتية ، ومن هنا يصبح من المعايير المهمة عند اختيار النص الأدبى المستوى اللغوى والعاطفى والوجدانى والفكرى ، حيث يؤسس فيهم حب الأدب وبالتالى حب القراءة ، وينمى أذواقهم الأدبية التى تصقل إبداعاتهم وتجعل منهم الأدباء والمثقفين .

علينا أن نلهب مشاعر طلابنا وأخيلتهم بأن نقدم لهم الأعمال الشعرية والنثرية التى تتسم بقدر من الرومانسية ، وأن تتفتح مواهبهم على المنفلوطى ، والرافعى ، وبشارة الخورى ، وعلى محمود طه ، وإبراهيم ناجى حتى يتصل طلابنا بتراثهم وأدبهم ، وحتى يمكنهم فى مرحلة مبكرة من تكوين ذائقة أدبية ، ولابد من اختيار بعض النصوص التى تعتبر من عيون الآداب ، وأن يدعى عدد من الكتاب والأدباء والفنانين لزيارات مدرسية يعرضون فيها قراءات من أعمالهم الأدبية أو أعمال أدبية أبدعها غيرهم .

إن التذوق الأدبى مسألة نسبية تختلف من طالب إلى طالب حسب قدراته وميوله ، والتذوق معايشة بين القارئ والنص كما أن رؤية النص الأدبى تختلف باختلاف حاسة التذوق ، إن ما يقدم من جماليات فى النص يجب أن يتناغم مع درجة تذوق الطلاب وحسب أعمارهم لأن ذلك ينمى ميولهم القرائية ، ويوسع آفاق مداركهم المعرفية والعلمية ، والارتباط بالكتب الأدبية ، كما أن التذوق الأدبى يساعد فى البناء الفكرى والثقافى وينمى الحصيلة اللغوية للطلاب . وهو أمر يتطلب نصوصا تعبر عن المعاصرة الأدبية وسلامة الأسلوب ، وجمال العبارة ، والصحة اللغوية التى تحقق انسيابية فى القراءة من حيث الاستيعاب وإدراك العلاقات بين الجمل ، والبناء الدرامى للأحداث ، والنصوص الشعرية التى تثير أحاسيس الطلاب وأخيلتهم ، والتى تنمى الحس والعقل الناقد .

وهنا لابد أن يكون الكتاب المدرسى فى الأدب العربى مرشدا لقراءات أدبية ، والبحث فى المراجع ، ولابد أيضا من قراءة نصوص تتسم بخفة الروح والقراءة خارج المقرر لنصوص تتسم بالإبداع .

النصوص الأدبية التى تقدم فى مدارسنا على امتداد الوطن العربى لابد أن تحقق للطلاب معاصرة زمنهم ومعايشة واقعهم ، وتحقق جانبى المتعة والفائدة . ولابد هنا من مراعاة المعجم اللغوى للطلاب ، والمستوى الثقافى ، وأن تتسع ألوان الفنون الأدبية التى تقدم للطلاب مثل : الخطب والرسائل والرواية والقصة والمقال والمسرحيات واليوميات ، بعيدا عن الوعظ والإرشاد بل تتصف بالجمال والمتعة والتشوق .

إذا تشابهت أفكار الناس فمعنى ذلك أن أحدا لا يفكر . من هذه المقولة الإبداعية أجدنى مقدرا هذا الجهد الخلاق والوظيفى عن الأدب المدرسى الذى يصنع أجيالا . وبداية أتفق مع أفكار من تحدثوا من مفكرين وأدباء ومثقفين ومعلمين بل ومتعلمين وآباء ، حيث أجمعوا على ضرورة وأهمية أن نقدم عبر مناهجنا المدرسية أدبا حقيقيا يقدر الجمال قيمة جوهرية وآلية لفهم النفس البشرية وخفاياها فى تفاعلها مع البيئة المحيطة ، وهو فى ذلك كله يتناغم مع الجانب اللغوى التعليمى والمحتوى الفكرى والأخلاقى ، وأنه عمل إبداعى يخضع فى انتقائه لمقاييس المعجم اللغوى والقدرات العقلية ومستوى الفصحى الميسرة فى آن واحد.

يبدو أن غياب بعض المفاهيم عن دائرة الحوار يفرض علينا كأساتذة لعلم المناهج ، ومؤلفين للكتب المدرسية على امتداد الأرض العربية منذ ربع قرن أو يزيد، ومشاركين فى مسيرة تطوير التعليم المتنامية المداخلة فى فكر التطوير من أجل تطوير الفكر ، تمحيصا لما استغلق فهمه ، وتوضيحا لمفاهيم غالبة وأخرى غائبة يأتى فى صدارتها :

1- إن انتقاء نصوص الأدب العربى وتوظيفها فى مناهجنا المدرسية كما تشير الدراسات والبحوث التربوية والأكاديمية يخضع لمقاييس ومعايير موضوعية . أولها أن يتصل المتعلم بالتراث الأدبى فى عصوره المختلفة ، وأن يتمثله ، ويتزود من القيم الخلقية والإنسانية والاجتماعية والفنية ؛ مما يلائم ثقافتنا فى مجتمعنا

العربى الكبير . وثانيها أن تزداد قدرة المتعلم على استيعاب النصوص الأدبية ، وإدراك نواحى الجمال فيها ، وعلى تذوقها ونقدها وتحليلها . وثالثها أن يزداد فهمه لمجتمعه العربى ، وتفاعله السوى مع هذا المجتمع لتشيع مبادئ التعاون والتضامن والتضحية والفداء والمحبة ، وأن يرى فى تلك المبادئ صورا مثالية جديرة بالاقتداء ، ليصبح هو نفسه داعيا إليها مدافعا عنها . ورابعها أن الأدب الحقيقى فى مناهجنا يبصر النشء بمجتمعهم ماضيا وحاضرا وتطلعا إلى المستقبل، وفهم النفس البشرية ، وإشباع ميولهم ودوافعهم واهتماماتهم لتشكيل نفس جميلة مهذبة وذوق رفيع وإحساس بالجمال فى كل ما حوله.

2 – ولعل القارئ المتأنى لمسيرة مناهج الأدب العربى عبر سنى الدراسة بمراحلها يلحظ كل ذلك ، كما أنه يقرأ بفخر واعتزاز أسماء المؤلفين أدباء ومفكرين وأساتذة جامعات ، أمثال : على الحديدى ، وعبد السلام العشرى ، ومحمود فهمى حجازى ، وعبد الصبور شاهين ، وحسين شرف ، وعونى عبد الرءوف، وسيد النساج ، وعبد الحميد إبراهيم ، ومحمد فتوح ، ويوسف نوفل، وأحمد كشك ، وحسن شحاتة . أما العقاد وطه حسين ونجيب محفوظ ، وعائشة عبد الرحمن وتوفيق الحكيم والرافعى ، وزكى نجيب محمود ، وصلاح منتصر ، ويوسف إدريس ، وعلى أحمد باكثير فإن إبداعاتهم وأعمالهم لها المكان والمكانة عبر صفحات كتب اللغة العربية ، ناهيك عن الشعراء المرموقين والكتاب المشهورين ، ممن يشكلون البصمات الأدبية لدى أبناء مصر وبناتها .

3 – ولما كانت المدرسة هى الحارس والمسئول عن صيانة اللغة الفصحى والمؤهلة للحفاظ عليها تفكيرا وتعبيرا ، وعليه فلا مكان فى مناهجنا للعامية وللغة الثالثة الراقية المفصحة لغة صلاح جاهين وبيرم التونسى وفؤاد حداد والأبنودى وغيرهم .

4 – إن تأليف الكتب المدرسية مطروح فى مسابقات على ضوء شروط علمية ومعايير تربوية ، وليست قصرا على فئة من المؤلفين العاملين بوزارة التربية والتعليم ، فقد انتهى عصر التكليفات بتأليف هذه الكتب منذ صدرت توصيات المؤتمر القومى لتطوير التعليم الابتدائى فى عام 1993م، كما أن دور المركز القومى للمناهج والوسائل التعليمية يقتصر على الإخراج ، حتى أمسى الكتاب المدرسى المصرى له السبق والتميز على المستويات القومية بل العالمية .

5 – نعم الإخفاق فى تدريس الأدب لا فى الكتب المدرسية ، وعدم تحقيق الأدب لأهداف تدريسه هو بيت القصيد ، وتلك مشكلة قديمة حديثة معا . يقول طه حسين : (إن لغتنا العربية لا تدرس فى مدارسنا ، وإنما يدرس شىء غريب لا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته) . وهناك أسباب متنوعة لتدنى الذوق العام ، ليس هذا مجال الخوض فيه . وهنا أجد نفسى متفقا مع القول بضرورة مراجعة أساليب إعداد المعلمين والمتخصصين فى لغتنا العربية ليس فقط فى كليات التربية ، بل فى دار العلوم والآداب والبنات والأزهر على حد سواء حتى يدركوا أن درس الأدب العربى يفجر الطاقات والإبداعات والاستعدادات ويوقظ الإحساس بالجمال .

6 – إن على الآباء والأبناء أن يعلموا أن الكتاب المدرسى أحد مصادر المعرفة والتعليم وليس هو المصدر الوحيد للتعلم ، وأن التعليم فى مدارسنا للحياة وليس للامتحانات ، وأن القراءة خارج المقرر ونحن نعيش فعاليات العام الثامن عشر لمهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة – واجب وطنى لتصنيع إنسان جديد للألفية الثالثة حيث إن المعرفة قوة .

7 – إن الدعوة إلى قلب الهرم الشعرى فى المرحلة الثانوية بحيث ندرس الأدب الجاهلى فى الصف الثالث الثانوى يسبقه العصر العباسى والأندلسى . ويأتى الأدب الحديث فى الصف الأول الثانوى أمر عليه ملحوظات ، وقد أقرت

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأخذ بشجرة الأدب العربى وهو المعمول به فى عالمنا العربى الكبير . وهناك مداخل أخرى مطروحة منها أن يدرس الأدب العربى حسب العصور ، أو حسب الفنون ، أو حسب البيئات . والأجدى كما هو المعمول به فى مدارسنا هو الدراسة النقدية التذوقية ، كما أن الأخذ بالمنهج التكاملى فى دراسة الأدب بل واللغة بفروعها وفنونها هى القضية المطروحة على ساحة التطوير والتحديث . وأخيرا فإن المناهج الدراسية تبنى اليوم ، فى ضوء المتغيرات الداخلية والخارجية المتسارعة لا لتبقى أبد الدهر .

رابعا : الدراما والخيال وثقافة الأطفال :

1 – الدراما وثقافة الأطفال :

الدراما تعنى الفعل ، و هى تحمل معان واسعة تدور حول شخصيات تعمل فى فلك أحداث يعبر عنها حوار متبادل بين مجموعة من الشخصيات . ومدلول دراما هو النص المستهدف تمثيله فوق المسرح أيا كان جنسه أو لغته أو مدرسته ، أو هو المسرحية الجادة ذات النهاية السعيدة أو المؤسفة ، والتى تعالج مشكلة عامة علاجا مفعما بالعواطف . و مفهوم الدراما يظل يدور حول العمل المسرحى فى جميع أشكاله ومجالات عرضه فى الوسائل الإعلامية المرئية ، والتى استفادت من الفن المسرحى مما يجعل التعريف مرتبطا بالأداء التمثيلى إلى حد كبير .

إن التسلية و المتعة من أهم أهداف الدراما فى وسائل الإعلام الجماهيرى لما تقوم به من وظيفة التأثير فى المتلقى ، من خلال القدرة على التعبير عن أفكار وعواطف متعددة بذلك كونها مجرد تعبير عن انعكاسات تسجيلية للحياة اليومية فهى تسعى إلى إرضاء المتلقى المشاهد وتسليته وتثقيفه معتمدة على الحوادث المألوفة والأنماط الاعتقادية بجانب ما قد تشمله من محاولات نقدية وتقدم تفسيرات جديدة للواقع الإنسانى بما قد تكسبها حقيقة فنية تزداد فاعليتها وأهميتها .

والترويح الملتزم ليس أمرا مرفوضا لكنه مطلوب للنفس الإنسانية و طبيعة كامنة فى البشر .. فالترويح عملية بنائية تشحذ الفاعلية وتنشط العقل وتثير الهمة وتوقظ الروح والاستباق إلى الخيرات وتدرب على العمل الجماعى وإشاعة روح الفريق واجتناب معانى العداوة والحقد والصراع وتشكل ميدانا لتصفية الغرائز وتعالج الأثرة وتعمل على تأسيس أخلاق العدل والإحسان .

إن الدراما لها مكانة أساسية فى برامج الترويح و التسلية ، وهى بذلك لون من ألوان الاتصال الجماهيرى ، سواء قدمت من على خشبة المسرح أو من خلال الأجهزة المسموعة أو المرئية . و من المعلوم أن مثل هذا النوع من الاتصال له تأثيره المتميز بالشمول لمساحات كبرى من المجتمع المتلقى ، و هو يحقق أهدافا تحفظ التفاعل للحياة الاجتماعية بما يساعد أفراد المجتمع على التمتع بالحياة من خلال التزام أدب هادف ، يتمتع بالقوة والواقعية مؤكدا ثقافة تتمثل فيما يكتب ويقال .

وعندما تقدم الدراما من خلال المسرح فإنها تربط الفرد باعتباره عنصرا من عناصر المجتمع بكل ما يحيط به من أنماط السلوك ، فيسهم بشكل فاعل فى عملية الاتصال الجماعى ، وتصل الثقافة إلى مختلف القطاعات ومن بينها قطاع الأطفال والنشء والشباب .

إن التسلية والمتعة من أهداف الدراما ، وهى كذلك تقوم بوظيفة التأثير فى المتلقى من خلال قدرتها على التعبير عن أفكاره وعواطفه متعدية كونها مجرد تسجيل لانعكاسات الحياة اليومية ... فالدراما تسعى إلى إرضاء المشاهد وتسليته وتعقبه معتمدة على الحوادث المألوفة والأنماط الاعتقادية بجانب اعتمادها أحيانا على نقد و تقييم و تقديم تفسيرات جديدة للواقع الإنسانى بما يكسبها حقيقة فنية تزداد فاعليتها وأهميتها من الوسائل الجماهيرية باعتبارها آليات اتصال اجتماعى .

إن الأدب من أكثر الفنون التصاقا بالحياة حيث يجمع بين عديد من الفنون متمثلا نبضة الحياة و حقيقة الوجود وجذوة النمو ، فيحس الإنسان ويرتبط بكل

فرد فى الأمة . فالأدب أحد مظاهر الفطرة البشرية التى فطر الله الناس عليها فيلتقى مع سائر الفطرة الإنسانية، و لذا قيل إن الأدب فى اللغة حسن الأخلاق و فعل المكارم ، والأدب يقع على كل رياضة محمودة ويخرج بها الإنسان فى فضيلة من الفضائل ، والدراما هى التعبير عن عواطف وتجارب إنسانية ، كذلك الأدب يلتقى مع الدراما ؛ فالأدب هو التعبير عن تجربة شعورية فى صورة حية ، وهو التعبير الجميل عن الكون و الحياة و الإنسان من خلال تصور الإسلام والكون والحياة والإنسان ، والدراما فى بنائها ومكوناتها إنما تقوم على الكلمة التى تشكل أساس الأدب وقواعده من خلال النص والحوار ومكونات القصة بداية وحبكة وحلا ، ولعل ذلك يشير إلى مدى تأثير المضمون الدرامى بفكر الكاتب الأديب وموجهاته العقدية وفلسفته نحو الكون والإنسان.

إن فنون الدراما المسرحية تأثرت فى جانب منها بالفكر الغربى الذى تمرد على سلطة الكنيسة وتعاليمها فاتجه نحو دعوة سافرة ، ضد كل ما يتعلق بالكهنوت والتعاليم الكنسية لتحل محله الغلبة للجهد العقلى بعيدا عن الغيبيات فظهرت ما يعرف حاليا بالعلمانية ، وبذلك ظهر فكر أدبى جديد يعطى للحياة الدنيا القدر الأكبر من الاهتمام بعيدا عن المفهوم الكهنوتى .. وكان ما يسمى بعصر الاستنارة الذى يعطى للعقل القدرة المطلقة للتعبير والتفسير وللكون والحياة رافضا لكل ما يتعلق بالآخرة وما بعد الموت ..

وقد ظهرت آثار هذه الاتجاهات فى كثير من مجالات الأدب بصفة عامة وأدب الدراما بصفة خاصة ؛ حيث أهملت الملاحم وظهرت المسرحيات على غير ما كانت عليه وأصبحت تراجم لعواطف وجدانية كالعشق والألم.

إن الفن المعاصر فى كثير من المجتمعات تأثر بالفكر الغربى وآدابه السائدة ، التى سيطرت على الساحة الفكرية فى أوروبا الحديثة حتى أصبح يسمى " أدب اللامعقول " فقدم أيضا فنا " لامعقول " يتبنى الإباحية متحللا من الالتزام

الأخلاقى .. لقد أصبح المقياس الوحيد للفن الجيد و الفن الردىء هو اللذة الشخصية .

و إذا كان الأدب الغربى المعاصر قد تأثر بأفكار الوثنية ثم بعد ذلك بالفكر العلمانى ، فإن الحاجة تكون ماسة لأدب قائم فعلا ينبت على أكرم الأصول والجذور وينمو فى أحضان عقيدة تزكى فكر الإنسان وتثمره ؛ بحيث يمسى التعبير الفنى الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان ، تعبيرا ينبع عن التصور الإسلامى للخالق ومخلوقاته فى القيم الإسلامية .

إن دراما الطفل لم تنج من تلك الانحرافات التى عرضت لها دراما الكبار ، وللطفل خاصيته وخصائصه التى تتطلب لونا خاصا من الأدب عامة والأدب الدرامى خاصة ، وقد ظهر هذا الاتجاه حديثا بالنسبة لتاريخ الأدب العربى بمعنى أن الاتجاه نحو كتابة أدبية متخصصة للأطفال ظهر متأخرا ليحل محل الحكايات والقصص التى كان يرويها الأجداد والجدات تحت مسمى أدب الطفل. و يتميز أدب الطفل بخصائص ومعالم ربما تكون ذات أثر فى تحقيق المضامين التربوية المطلوبة ، ونذكر منها على سبيل المثال :

- أن يتصف بالوضوح والبساطة فى العرض مع سهولة اللغة والأسلوب .
- مراعاة استخدام الجمل القصيرة والمفردات الواضحة والمتعارف عليها فى بيئة الطفل.
- عدم الإطالة و الاستطراد بما يحول دون تركيز الطفل ، ووصوله إلى المعنى المطلوب بأقل عدد ممكن من العبارات والكلمات .
- استخدام أسلوب المفاجأة وعنصر التشويق والإثارة ، دون إسراف فى الخيال وإجهاد للتصور .
- يعتبر أسلوب الحوار والأسئلة من وسائل نجاح وصول المضمون لعقل الطفل وتعلقه بالمتابعة .

– مراعاة الوضوح ما أمكن مع جمال الأسلوب ، والابتعاد عن الإسراف فى المضمون والتكلف ، حتى لايمل الطفل ويقلع عن المتابعة .

وهذه هى بعض القواعد التى تجعل من الكتابة للطفل أمرا ليس بالسهل ولا اليسير ، ولعل الكتابة تحتاج إلى تبسيط ينزل بالمعانى فى ألفاظ وجمل سهلة ومفهومة وسلسة ، وهذا أمر يتطلب تخصصا فى الكتابة لأدب الطفل مع جانب الموهبة . إن أدب الطفل هو أقرب لأن يكون فنا مرئيا يحمل الحس المرهف والقدرة على الإبداع والعطاء والابتكار مع سعة التصور وصدق الخيار ، بما يقيم به جسرا متصلا بينه وبين قرائه من الصغار .

ويعطى الأطفال قدرا كبيرا من اهتماماتهم بالبرامج الدرامية ، والتى أصبحت تبث بكثافة عالية سواء كانت على صورة مستقلة فى شكل تمثيلية أو مسلسلة أو صورة غير مباشرة ، فيما يرد ضمنا مع إعلان تجارى أو تحقيق إرشادى .... وتمثل الدراما نصيبا أوفر فى برامج الأطفال ، والتى غالبا ما تستقى موضوعاتها من الخيال ومواقف المغامرات ، وكثيرا ما تشتمل هذه البرامج على مشاهد العنف وسفك الدماء وتمجيد أعمال العصابات بكل ما تحمله من تخويف وإثارة . لقد أصبح أدب الجريمة والعنف من المصادر المعروفة لكثير من الأعمال الدرامية والتى يعرض لها الأطفال ؛ مما يشجع المسلك العدوانى لديهم تقليدا لأبطال وشخصيات الرواية ، وكثيرا ما نسمع أو نقرأ عن أطفال دفعتهم أحداث البرامج الدرامية إلى سلوك منحرف أو حملتهم على ارتكاب جرائم ؛ تقليدا لما رأوه فى المسلسل أو التمثيلية .

إن أدب الدراما المتأثر بالأدب الغربى والذى أصبح مادة عادية فى كثير من برامجنا قد تكون له آثاره السلبية على مقومات الطفل لما فيه من قدرة السيطرة على الأجيال وتربيتها على ألفة الانحراف ، وإخضاعها للغرائز فى سن مبكرة فيتعود ما يراه من انحرافات وسلبيات على أنها هى الواقع والحقيقة ...

إن أدب الدراما المنحرف لم يقف عند حدود ما يعرض فى البرامج المتلفزة ، بل تعداه إلى الفيديو والذى انتشرت من أجله مراكز فى الأحياء والطرقات بعيدا عن أعين الآباء والأمهات ، وهى ما تعرف باسم " أندية الفيديو " والتى تسهم بقدر كبير فى تحقيق الربح المادى على حساب الطفل البرىء ، وكانت الثغرة الخطيرة التى يتسللون منها هى إثارة الغرائز لدى النشء .

وإذا ما علمنا أن الأطفال يقضون وقتا كبيرا أمام هذه الأجهزة لأدركنا مدى الخطر، ففى تقرير لمنظمة اليونسكو العالمية يشير إلى أن الأطفال من سن السادسة إلى سن السادسة عشرة يقضون ما بين 12 – 24 ساعة أسبوعيا أمام التلفاز، ومع تقدم تقنيات الاتصال وتطور وسائله من تلفاز وفيديو إلى إنترنت فلاشك أن الزيادة حاصلة فى عدد ساعات الاستقطاب حيث تمثل برامج الدراما الترفيهية النسبة الأعلى فى المشاهدة ، حتى كاد أن يكون شريكا فاعلا فى تربية الأطفال وصياغتهم صياغة تقوم على أدب غير مرغوب فيه ، بعيدا عن الأدب الملتزم بالعقيدة والأعراف السليمة . إن التلفاز يلقبونه بالوالد الثالث الذى يمثل مرتبة فى الأسرة تلى مرتبة الأب والأم بل تفوقهما أحيانا، وهو ليس ضيفا بل مشاركا فى مسئولية إعداد وتربية أبنائنا .

إن ما يقدم من برامج درامية سواء فى جانب الترويح أو الاستطلاع أو الإعلام إنما ينقصه الكثير من القيم والمثل والمضامين الإيجابية وخصوصا فى جانب برامج الأطفال وما يشاهدونه من مسلسلات أو تمثيليات . ولقد أصبحت الضرورة قائمة لمواجهة واعية تعيد بناء أجيال الأمة العربية على الاستقامة وتثرى المعرفة الإيمانية والفكرية للناشئة . وحتى يتحقق الأمر بالنسبة لبرامج الأطفال وفق أدب هادف لدراما فاعلة ، فإنه يمكن ذلك من خلال الأمور التالية:

– الدراسة الواعية لمعرفة وإدراك حاجة الطفل الطبيعية ولعلها تتمثل فى الحاجة إلى المعرفة ، واكتساب المهارات الحياتية، واكتساب القيم الدينية، واللعب والترفيه،

والعمل والتقدير من الآخرين، وتنمية القدرات العقلية، والتنفيس عن رغباته، والحب والحنان والأمان، والحاجة إلى الانتماء .

- الاستفادة الواعية من إيجابيات التقنيات الحديثة فى مجال الإعلام الجماهيرى وما يتعلق من برامج الترفيه والتسلية والبرامج الثقافية بصفة عامة وبرامج الأطفال بصفة خاصة... فإن مثل هذه الوسائل الحديثة لها ولاشك إيجابياتها وفوائدها ، وتعتبر بكل المقاييس مصدرا فاعلا لخدمة بانية وليس من الصعب التغلب على سلبياتها ، إذا ما أحسن فهمها والتعامل معها من منطلق أخلاقى .
- الاستفادة من موجهات الأدب فى مجال القصة والمسرحية ، ومحاولة تطبيق قيم الدين ومبادئه على أدب درامى ، مبنى على أصول العقيدة وهدى القيم الفاضلة .
- الاستفادة من التصور الدينى للفنون عامة وأثره فى تطور فنون الأدب بما يحول دون الإسراف فى التغيير ، الذى يحدث خللا يفسد الجمال الأكبر فى حياة الإنسان كالأدب المكشوف .
- الصدق الإعلامى الذى يشمل أنشطته وبرامجه كافة ، فيشمل المادة الإعلامية تأليفا وفكرا ، ويدخل فى ذلك أدب الدراما بحيث تعبر عن أحداث ومواقف صادقة ، ويتأكد ذلك فى حق الطفل بما يبعده عن أساليب الكذب والخداع والمبالغة وتهويل الأمور فيما يتعلق بقصص الدراما وأدبها ، و يمكن أن يعيش الطفل فى عالم الخيال بعيدا عن الواقع فى برامج الكارتون وأفلام الرسوم الكاريكاتيرية فى إطارها الذى يغذى الإبداع.
- بناء المثل العليا وحمايتها ؛ من أجل تحقيق ورعاية القيم العليا ومعايير السلوك المستقيم من خلال إعلام يحمل خاصية الهداية والحماية والاستقامة التزاما بخلق الدين وآدابه وقيمه، حتى تتحرر العقول من الأوهام وتطهر القلوب من جوانب الانحراف ، وحتى يتعامل العمل الإعلامى مع الأدب والفن الرفيع العف ؛ فيعمل على ترقية جوانب الخير فى النفس الإنسانية عامة ونفس الناشئة من الأطفال بصفة خاصة .

– القدرة على استيعاب الوسائل المتاحة ، ذلك أن الدين السماوى يتعايش مع مظاهر الحياة المتاحة كافة ، ما لم تتعارض مع أحكام الله وهديه الأصيل .

– **أسلوب العرض** : تتأكد فاعلية الرسالة الإعلامية بما يتوافر لها من أسلوب عرض جيد، وتشتد الحاجة فى ذلك بالنسبة لفنون الآداب والدراما حتى يتحقق لها القبول واجتذاب نظر المتلقى دون تصادم مع فكره وعقيدته ... ولما كانت مرحلة الطفولة من المراحل المهمة فى بناء الأمة ومستقبلها ، فإن الأمر يتطلب أن تخاطب هذه المرحلة وفق أسلوب يناسب الإدراك والتفكير فى مثل هذه السن، و من خلال عرض يتميز بالبساطة والسهولة وفق قواعد أدب خاص يعرف بأدب الطفل العربى .

والإعلام باعتباره أداة توجيه وتبشير وتبصير .. فإنه لابد وأن يظل ملتزما بهذه الأخلاق الفاضلة ... إن الرسالة الإعلامية التى تقوم على أدب ملتزم يجد جمال الحياة الإنسانية ويسمو بالمشاعر ، ولابد من استحضار الالتزام بقواعد الفضيلة ؛ ذلك أن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة فى خضم القيم المتصادمة صداما أدى إلى الفوضى ... ولاتخلو أعمال الفنان الصادق فى أى وقت من أن تكون تعبيرا عن عقيدة .

إن المسرح مجمع الفنون ، وهو يقوم أساسا على الدراما ويركز على فن التمثيل والإخراج ، بجانب الديكور الذى هو فن تشكيلى ومعه الملابس التى تعبر عن عصرها، ومهنة صاحبها بجانب الموسيقى التى تصاحب الحركات الإيقاعية، والإضاءة التى تبرز شخصيات العمل المسرحى وهو بذلك يدرب الطفل على تذوق الدراما والتعرف عليها، وإذا ما ارتفعت هذه الفنون إلى مستوى رفيع ؛ كى تعمل من أجل الأطفال يعنى أنك تتجاوز ما تعمله أمام الكبار وتؤديه بشكل أفضل وأروع حيث تضيف القيم الأخلاقية على العمل ، لتجعل منه تحفة إنسانية، ولترقى به إلى قمة لترسيخ قيم الإيمان ، ولتأكيد انتصار الخير على الشر، والجمال

على القبح .. نحن نريد لعيون أطفالنا أن تنفتح على الجمال الذى خلقه الله فى الطبيعة، وفيما استطاع الفنانون أن يبدعوه ؛ لأن فيهم قبسا من نور الله .. نحن نريد أن نثقف عيون الأطفال...

إنه من الممكن أن تكون الدراما متعة ومعرفة وارتقاء بأذواقهم وتقويما لسلوكهم شريطة الابتعاد عن المباشرة، والبعد به عن أن يكون المسرح درسا تعليميا، ونصائح ، تنفرهم منه وتبعدهم عنه ؛ خاصة إذا اتجهنا به إلى القيم النبيلة والسلوكيات الدينية القويمة ، ومن الضرورى أن يتعامل المسرح مع كل شرائح أعمار الأطفال الذين يتطلعون إليه فى شوق كبير .

ومن الممكن تزكية هذا الاتجاه إذا تحدثنا عن طفل ما قبل المدرسة أو طفل السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية. أما طفل المرحلة المتوسطة فمن الضرورى أن توضع له القضايا الدينية على خشبة المسرح مع البعد عن المعالجة المباشرة ، والوعظ والإرشاد، وتضمين العمل كما كبيرا من المواد التعليمية .. المسرح ليس مدرسة .. كما أنه ليس ملهى.. ومسرح الأطفال بالذات يجب أن يقدم عملا متقنا : نصا ، وإخراجا ، وتمثيلا و ... من الضرورى أن يكون فى مصاف مسرح الكبار ، و أفضل فى كل شىء : تمثيلا و إخراجا، ديكورا، وملابس، موسيقى وإضاءة، من أجل أن ينبهر الأطفال ونجتذبهم للمشاهدة والمتابعة، خاصة ونحن نهدف ربطهم بدينهم وأيضا بفن المسرح بكل روافده .

إنه لم يكن من المعقول أن تبتعد التكنولوجيا عن مسارح الأطفال، بل لقد اجتاحته رغبة فى إبهار القارئ بما يجرى فى مسارح الأطفال عالميا، كما تحاول التكنولوجيا أن تبهرهم من خلالها ، وكأنما وجد العلم التطبيقى فرصته مؤخرا لكى يتبع المسرح، ويغزو بالتحديد مسارح الأطفال، مهما صغرت رقعته، خشبة وقاعة .

إن خشبة المسرح تدور بالأزرار الصغيرة ولم تعد خشبة المسرح التى يراها الطفل ثابتة فى مكانها أمام عينيه، لكنها أصبحت تكنولوجيا، دوارة متحركة على

عمود ضخم ، يدور بها كما يريد المخرج ، وقد تنقسم إلى جزأين ، أو أربعة أو أكثر .. وكل جزء من هذه الأجزاء من فوقه الديكور الخاص به .. ولا نحتاج إلى ذلك الوقت الطويل – الذى كان يسمى بالاستراحة فيما بين الفصول – لكى نقوم بتغيير المناظر، إذ إن كل جزء معد بالكامل لكى يصبح أمام عينى المشاهد بلمسة صغيرة لزر بسيط يدير الخشبة ، فى لمح البصر من وراء ستارة أو بدونها، و يحدث ذلك إبهارا شديدا لصغار المشاهدين ..

وقد شاهدنا فى مسرحية للأطفال يدور جزء من الخشبة ، ليتغير المكان والزمان ، إذ كان هناك حائط أو جدار على أحد جانبيه خزانات ثياب فى غرفة نوم ، وفجأة يدور جزء الجدار ، و إذا بنا نرى المطبخ أو خزاناته وأطباقه وما إلى ذلك .. وقد انبهر له الأطفال المشاهدون ، وطالبوا بعد العرض بمعرفة كيف يتم ذلك .

إن خشبة المسرح ، المتحركة ، الدوارة تعطينا إمكانات كبيرة لتغيير المناظر والديكور ، وبالتالى المكان والزمان ، وهنا تبرز قدرة المؤلف على الاستفادة من هذه التقنية ، التى تجعل المسرحية أشبه ما تكون بالسيناريو ، الذى تتوالى مشاهده فى سرعة وإتقان شديدين ، ويستطيع الذين تمسكوا بتقليدية المسرح ، وفصوله ، ووحدة الزمان والمكان التى نادى بها أرسطو ، وبذلك قلبت التكنولوجيا الأمور رأسا على عقب ، حتى فى تلك التى كان يظن أنها من ثوابت المسرح وخصائصه التقليدية ...

وهذه المشاهد القصيرة يستفاد خلالها من الإصغاء استفادة ضخمة، إذ تتغير للإصغاء وتغير أشياء كثيرة، كانت تشرق علينا الشمس بأشعتها الذهبية، ويلتهب الأفق احمرارا، وقد يتكرر ذلك مع الغسق والغروب ... وربما يحل الظلام ، مستثمرين النوافذ التى يمكن أن تكون كقوة فوق سطح سفينة ، نرى من خلالها الأمواج وأصواتها ...

ولم تعد خشبة مسرح الأطفال كما كانت عليه فيما مضى، لكن أبعادا جديدة أضيفت إليها ، جعلت منه عالما جديدا فسيحا ، يتحرك من خلاله الممثلون .. لا أفقيا، بل قد يقعدون ويهبطون ، ويمضون فى كل الاتجاهات الأمر الذى يثرى العمل ، ولا يجعله حبيس جدران ثلاث ، عندما يرفع عنها الحائط الرابع ، والذى صار مجموعة من حوائط ، يرتفع الواحد منها بعد الآخر لنكشف من ورائها عمقا يصل بنا إلى الأفق .

ويواكب أدب الأطفال فى الوطن العربى التطور التكنولوجى والإلكترونى ، وقد ظهر تبعا لذلك أشكال جديدة فى أدب الأطفال بمعناه الواسع ، فلم يعد الأدب محصورا فى النشيد والأغنية والقصيدة الغنائية ، أو الحكاية والقصة القصيرة المصورة المطبوعة فى كتاب أو مجلة، والمسرحية الشعرية أو النثرية المكتوبة خصيصا للأطفال لتمثيلها على خشبة المسرح المدرسى أو مسرح النادى الصيفى، أو فى الهواء الطلق ، بل ظهرت أشكال جديدة تضاف إلى عالم أدب الأطفال وثقافتهم، مثل ألعاب الكمبيوتر ، و ما يعرف باسم الأتارى أو ألعاب الفيديو التى تستغرق الطفل استغراقا تاما وتتضمن البرامج التعليمية والترفيهية وبرامج الألعاب التى تنمى مهارات اللعب على أجهزة الكمبيوتر ، وتقدم فى الوقت نفسه معلومات وثقافات مفيدة ومتعددة يجدها الطفل إما مخزنة فى ذاكرة الكمبيوتر، أو على أقراص مرنة أو مليزرة ، وما عليه سوى القيام باستدعائها من الذاكرة الإلكترونية ، أو وضع القرص فى مكانه والقيام بتشغيله ، والتعامل معه . وكلها يكسب الطفل سعادة كبيرة ، وهو يتعامل مع تلك الأشكال الجديدة .

إن طفل الإنترنت هو الأرضية الجديدة التى يجب استقطابها واحتلال المواقع المخصصة له داخل الشبكة ، كما أن المنافسة ستكون شديدة بين أطفال الإنترنت أنفسهم، فمعظم هؤلاء الأطفال ستكون لديهم القدرة على برمجة أفكارهم وتخيلاتهم وتصوراتهم، وبثها عبر جهاز الحاسب الآلى إلى أصدقائهم .

إن طفل الإنترنت يجلس إلى جهازه ، ويستقبل من أقرانه يوميا عشرات الأفكار والمعلومات والألعاب التى يقومون بتصميمها أو ابتكارها، أو تصمم لهم، ويرسل لهم بدوره ما يشابه ذلك ، ويحدث نوعا من تلاقح الأفكار والمعلومات عبر الشبكة ، حسب قدراتهم الذهنية والعقلية وأيضا التخيلية .

إن الآباء والمدرسين لابد أن تكون لديهم فكرة متكاملة عن التعامل مع أجهزة الحاسب الآلى الشخصية، ثم مع شبكة الإنترنت العالمية، حتى يكونوا على استعداد للإجابة عن سؤال يوجهه إليهم طفل الإنترنت . إن أفضل رقابة هى الرقابة الذاتية، رقابة الأهل لاستخدام الإنترنت من قبل أولادهم . ولهذه الغاية توجد بعض برامج المراقبة التى تقطع الاتصال حال إدخال إحدى الكلمات الممنوعة . ويمكن للأهل أن يحددوا الكلمات / المفاتيح التى تؤدى إلى المواقع غير المرغوب فيها، ويتكفل عندها البرنامج بمراقبة استخدام الأولاد لشبكة الإنترنت .

إنه فى السنوات الأخيرة عمل مخرجو برامج الأطفال الإلكترونية ومصممو المواقع على تحويل المادة الأدبية أو الثقافية المكتوبة إلى مادة إلكترونية نابضة بالحياة والجاذبية والحركة عن طريق توزيع الوحدات المختلفة على الصفحة الإلكترونية الفارغة ، وتحويلها إلى لوحات فنية تنبض بالجمال والمعنى بما يتناسب مع قدرات الأطفال على استخدام حواسهم المختلفة وخاصة العين ، والأذن ، و اللمس .

أيضا استطاع مخرجو البرامج ومصممو المواقع ، استخدام المؤثرات البصرية ، والخدع السينمائية ، وتوزيع الإضاءة ومزج الصور، واستخدام الصوت البشرى وأصوات الحيوانات والطيور مثل : زئير الأسد، ونهيق الحمار، ونقيق الضفدع ، وعواء الذئب ، وخرير المياه ، وحفيف الريح ، وشقشقة العصفور، وكذلك إخراج قصة مؤلفة من قبل لتعمل على وسيط إلكترونى من خلال إضافة بعض التقنيات الجديدة المتعلقة بالصوت والصورة واللون والرسوم الإلكترونية والصور المتحركة

ومؤثرات موسيقية أخرى مع الاستفادة من خصائص الفيديو فى الإرجاع والتقدم والتثبيت أو فيما يعرف بالوسائط المتعددة .

وقد لجأت بعض دور النشر الإلكترونى إلى كتب التراث فى مادتها للأطفال ، وتحويلها من الصيغة الورقية إلى الصيغة الإلكترونية على الأقراص الممغنطة ، وكلها يسعى إلى مخاطبة الطفل بأسلوب ذكى واضح ، وتتوافر فيمن يكتب للطفل فى هذا المجال القدرة على معايشة قاموس الطفل اللغوى فى مراحل عمره المختلفة، وهضم المحصول الثقافى للطفل، وتحويله إلى برنامج ممتع ومفيد و ينظر إلى الطفل على أنه ذو قابلية عالية للتأثر والانفعال بكل ما يسمع وما يرى، وأن عالمه الخاص مملوء بالنشاط والحركة والحيوية، وأنه يحب دائما الاستطلاع والاستكشاف .

2 – الخيال وثقافة الأطفال :

شهد عصر التنوير الأوروبى مناقشات علمية حول مفهوم الخيال حيث أبرزوا ملامح وظيفة الخيال ، على حين تشكك آخرون فى عملياته ووصفوها بأنها وهم حيث تفاهة الرغبات الإنسانية . وجاء الشعراء الرومانسيون فى القرن الثامن عشر وأكدوا ضرورة الخيال فى حياتنا اليومية مؤكدين أهمية الجمال والتذوق ، وعند بحث تيار الفكر والذات تبلور الدور الذى يؤديه الخيال كوظيفة تكيفية .

وكان لظهور المدرسة السلوكية فى بدايات القرن العشرين دور فاعل فى إهمال دراسة الخيال والتصورات العقلية ، وجاءت الثورة المعرفية فى بداية الستينيات من القرن العشرين ، واتجه علم النفس لدراسة التخيل والتى فجرها دراسة الحرمان الحسى ؛ حيث أعطت دليلا على الأفكار والصور وأحلام اليقظة وأحلام النوم ودراسة كل ذلك معمليا . إن أهمية دراسة الخيال لدى الإنسان تتمثل فى تأثيرها على وظائف التذكر والتوقع والتهويم وارتقاء الخيال مع نمو الذات والآثار المهمة للخيال فى القدرة على التكيف .

إن الدلالات العربية لكلام الخيال لا تشير إلى القدرة على تلقى صور المحسوسات وإعادة تشكيلها بعد غيابها عن الحس ، إنها تشير إلى التشكيل والهيئة والظل كما تشير إلى الطيف أو الصورة التى تتمثل لنا فى النوم وأحلام اليقظة أو هى تلك اللحظات التأملية عندما تفكر فى شىء أو شخص . وعليه فإن المخيلة هى القوة العقلية التى تخيل الأشياء وتصورها ، وهى مرآة العقل وأن التخيل هو استحضار صورة شىء محسوس فى العقل دون التصرف فيه .

أما الفلاسفة فقد عرفوا الخيال باعتباره قوة أو قدرة متخيلة تحفظ المحسوسات بعد غيابها عن الحواس ، وربطوا الخيال بالرؤى والأحلام ، والقدرة على تخيل المحسوسات واستعادة صورتها والمعانى المخزونة فى المصورة ؛ أى إنه ربط بين التخيل والذاكرة . إن فلاسفة المسلمين قد أبرزوا مفهوم الخيال من خلال وظيفته دون الاهتمام بطبيعة هذه القوة وأبعادها ، وأن وظيفتها حفظ صور المحسوسات بعد غيابها عن الحواس .

إن الخيال يمكن النظر إليه باعتباره مستودع المحفوظات التى وصلت إلى الإدراك عن طريق الحس والوجدان ، وهو نوع خاص من الحافظة هو حافظة مصورة والتخيل هو استحضار هذا المخزون ، أى إنه عملية عقلية عليا تقوم فى جوهرها على إنشاء علاقات جديدة بين الخبرات السابقة بحيث تنظمها فى صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل ، وهو بذلك يستعين بالتذكر فى استرجاع الصور العقلية المختلفة ، ثم تمضى بعد ذلك لتؤلف منها تنظيمات جديدة تصل الفرد بماضيه وتمتد به إلى حاضره ومستقبله .

إن من أهم وظائف الخيال أنه مجموع الخصائص التى تشير إلى أن الخيال يحدث عندما يرى ويسمع المرء ، ويحصل على الانطباعات ويحفظها فى ذاكرته وهى قدرة مهمة على استخدامه الحواس ، وأنه بقدر ما تكون المعلومات المتوافرة لدى الفرد أكبر وبقدر ما تكون خبراته الحياتية أثرى وبقدر ما تكون انطباعاته أكثر تنوعا

تكون لديه إمكانات أكبر من أجل تركيب الصور ، كما أن تخيل الإنسان يملأ لديه فراغاته ويجيب عن أسئلته المحيرة ويخلق تركيبا جديدا للمعلومات الموجودة ، كما أن الخيال يتصف بأنه حر لا يرتبط بوسط محدد، بل هو نتيجة التطور الذاتى، ويتولد لدى الإنسان نتيجة ارتقاء قدراته الفعلية، وهو بذلك يحمل طابعا انتكاسيا .

إن التخيل دال على النفس البشرية فى صورتها المعقدة بما يحتويه هذا الفعل من عمليات داخلية أخرى تحدث لحدوثه وتؤكد نتيجته ، والتخيل لا يمكن حصره فى إطار واحد ، وإنما هو تركيب للعمليات النفسية الأخرى ، فهو فى إحدى الحالات تركيب للفهم ، أو للإدراك والذاكرة ، وقد يكون تصورات ونتاج صور .

إن الخيال قوة فكرية يحتاجها الكبير والصغير كى يتجاوز الواقع، ويواجه مشكلاته ، ويسبر غور حياته ، ومن ثم فهو يسهم عند الأسوياء من البشر فى رسم طريق واضح، قد يهدى إلى نظرية علمية ، أو إلى عمل أدبى ، أو تصور لسلوك حياتى سوى، كل حسب المجال الذى يتصل به ، وهكذا تتنوع وتتعدد أنواع الخيال؛ فهناك الخيال الأدبى الذى لا يستغنى عنه الشاعر أو كاتب القصة ، أو المسرحية أو المقالة ، وغيرها من الأشكال الأدبية ، وهو يعالج همومه واهتماماته ، على مستوى الفرد والمجتمع والأمة ، وهناك الخيال العلمى، الذى نجده عند العلماء وهم يتصورون علاقة الإنسان بالحياة ومتغيراتها، ويبحثون سبل تقدمها وتغييرها، بما يبتكرونه من وسائل، وما يهتدون إليه من رؤى تنير الحياة ، وتهدى إلى سبل تقدمها . بل إن هذه الرؤى قد تكون عند البشر بصفة عامة ، وهم يوظفون الخيال فيتعدد بتعددهم ، ويتنوع بتنوع حرفهم وتفكيرهم فى الحياة ، وطبيعة البيئة التى يتصلون بها ، من ثم فهناك الخيال السياسى، والخيال الطبى، والخيال العسكرى ، والزراعى .

إن الخيال العلمى والأدبى قد يتلازمان عند العلماء والأدباء، حسب المكونات الثقافية والمعرفية لكل منهما، ومن ثم فقد وجدنا عند بعض الأدباء ما يسمى بأدب

"الخيال العلمى"، الذى ازدهر فى القرن العشرين، وانبعثت منه أنواع جديدة أخرى مثل أدب الفانتازيا العلمية، وأدب الظواهر الخفية .

كما نجد عند العلماء شيئا من ذلك الخيال الأدبى، لا يتجلى فى رؤاهم الفكرية، وتجاربهم العلمية فحسب، بل يتضح فى صياغاتهم لنظرياتهم العلمية، وتصوراتهم الفكرية والفلسفية . والأديب والعالم والسياسى وغيرهم ممن يوظفون الخيال فى الإنتاج والإبداع والابتكار، لا تتجلى فاعليتهم إلا عندما يتمثل المتلقى تجربتهم ويتصل بما يبدعونه أو ينتجونه أو يبتكرونه، وغير ذلك مما يؤكد شمولية التجربة، وشمولية الخيال الموظف . هكذا يصبح الخيال على اختلاف مستوياته وأنواعه يضم المرسل والمستقبل، سواء كان هذا المستقبل كبيرا أم صغيرا، كل حسب مستوى الخيال ، و ما يعنينا فى هذا المجال هو الخيال الأدبى.

إن الإنسان المثقف ، والكاتب المفكر، والعالم المكتشف ، والموهوب صاحب التفكير الابتكارى، والفنان الخلاق، والأديب المبدع ، والمتلقى الجيد هم نتاج خيال عاقل رشيد؛ إذ لابد لهؤلاء جميعا من أن يطعموا من على مائدة الخيال العاقل المهموم بالجديد الطالع من أرض التجربة الخصبة ، وأن يولعوا به ، وأن يكون وضيئا عندهم فى مقومات شخصيتهم . حديث الحس المرهف ، والعقل النافذ ، والوجدان الشجى والقلب القادر على الحدس ، كما لا يتجلى الخيال بالإبداع إلا فى شخصية مسكونة بالمحبة و المودة و العاطفية و الشاعرية والإحساس القادر على التقاط الكلمات والألوان و المفردات ذوات العطر الخاص، و الشذا النافذ إلى العقول و القلوب معا . وهو مايطلق عليه "شخصية الإنسان الحساس" ، القادر على تقبل التداعى ، و المتميز بتدفقه ، و عفويته وصدقه وانفعالاته الإيجابية ، وأصالة مشاعره وعواطفه . فالطبيعة الإنسانية ذات الخصوصية تمتلك خيالا خصبا فى اتجاه الإبداع أو الابتكار أو صياغة الفروض و الانطلاق بها عبر المعامل والمختبرات .

إنه من حيث المفهوم العام الخيال هو امتلاك الماضى و الحاضر و المستقبل ، وهو القدرة على النفاذ، والتجاوز والامتداد ، وهو القادر على التحليق فى كل الفضاءات ، والإبحار فى كل المستحيلات . فهو الذى يجمع ما بين المتنافرين ، ويقرب ما بين المتباعدين ، ويعيد كل الأطراف الغائبة ، ويوطن كل المتناقضات ، وينطق الجمادات ، ويقوم بكل خوارق العادات ، وهو الذى يصنع الحياة ، ويفككها ويحللها ويهدمها ويبنيها ويركبها ويكونها ويصنع لها سياقاتها وأنساقها وأطيافها . وهو فى الوقت نفسه ليس معلقا فى فراغ ، أو أن يبدأ من فراغ . بل إنه ذو رسالة عظيمة ، وأهداف نبيلة.

من هنا يكون جماله وقدرته على الرسم بالصور الملونة الوردية التى تتخطى الإمكان، و تتجاوز الواقع ، وتمتلك النفاذ عبر الزمان والمكان . ومن نعم الله على الإنسان أن فطره على قدرة التخيل ، حيث لا تقدم إنسانى إلا بالخيال ، ومع الخيال، فهو آلية التقدم ، ومطبخ عمليات التفكير الابتكارى .

إن مفهومات الخيال قد تعددت و تنوعت ، فهناك من يعده مقابلا للواقع والحقيقة ، ومن ثم فهو أقرب لديه إلى الوهم والظن ، وربما كان ذلك من معانى الخيال اللغوية . والطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة لايفرق بين الخيال و الحقيقة ، ويجد صعوبة فى التفريق بينهما ، بينما هناك من يتجه به وجهة علمية عندما يعرفه بأنه التفكير بالصور ، على حسب طرق فنية تختلف من مذهب فنى لمذهب فنى آخر ، وبذلك تتعدد هذه الطرق بين المذاهب الأدبية المختلفة من كلاسيكية ورومانسية وغيرها . وهناك من يعرف الخيال بأنه : " ملكة من ملكات العقل ، بها تمثل أشياء غائبة كأنها ماثلة حقا لشعورنا ومشاعرنا ، فهو وسيلة لاستحضار الماضى وذكرياته". كما يجعله مرادفا " للمخيلة " أى الملكة المولدة للتصورات الحسية للأشياء المادية الغائبة عن النظر ، وهى على نوعين : إما أن تستعيد الصور التى شاهدها صاحبها من قبل ، وتسمى عندئذ المخيلة المتذكرة أو المستعيدة ، أو تعتمد صورا سابقة فتولد منها صورا جديدة ، و تسمى عندئذ المخيلة الخلاقة .

إن الخيال الخلاق فى أدب الطفولة يتنوع ليشمل :

أدب الخيال العلمى ، الخيال فى الصور المجازية.

ويمكن عرض ذلك تفصيلا كما يلى :

1 – أدب الخيال العلمى :

"أدب الخيال العلمى " موضوعه الظواهر العلمية ، وتوقعاتها المقبلة ، والتنبؤ بها ، والإنجازات التكنولوجية الحالية ، وما تشير إليه من تطور وتحديث فى المستقبل، يكون أكثر إسعادا ونفعا للبشرية . وانعكاسات ذلك كله على العالم القادم الواعد ، ومستقبل البشرية كلها . و المثال الصحيح للأدب العلمى وخياله الخلاق يكمن فى أنه يتصور المستقبل ، و مصير الإنسان فى صورة أفضل .

ورغم أن " أدب الخيال العلمى " يتحدث عن منجزات علمية لم يتوصل إليها الإنسان بعد ، فإنها كثيرا ما توحى إلى العلماء بأفكار تتعلق بمختلف ميادين العلم ، كالطب و الكهرباء والجيولوجيا وغيرها . كما أن المؤلفات التى يصدرها هؤلاء الكتاب، تعطى جماهير القراء مفاهيم شتى لاحتمالات العلم المستقبلى، وللتطور المذهل الذى تسير فيه معظم العلوم ..

وبهذا أصبح " أدب الخيال العلمى " علاجا للقطيعة بين الفن و العلم ، وهذا هو الشىء نفسه الذى يحدث فى المعمل ، عندما تكون التجربة ضمن سياق اكتشاف حقيقة علمية . لكن التجربة قد تمنح العالم الذى يجريها خبرات أخرى يستفاد منها فى مجالات مغايرة ، وتكون تلك المصادفة العلمية هى أهم نتائجها ، أما إذا قيل إنه لا حدود للخيال ، فإن تلك الحدود مسورة بأسوار من العقل وإمكانات الفعل البشرى ؛ ذلك لأنه عندما يهتدى المؤلف إلى موضوع قصته ، فإنه يجب أن يخضع لمنطق ومنهج معينين ، وأن يضع لفكرته الحدود التى تجعلها مقبولة لدى الأطفال ، وبذلك يعمل المؤلف داخل إطار ، ونظام خاضع لمنهج عقلانى ولا يترك نفسه بغير ضابط ، حتى لا يخرج للقراء أنواعا من الهذيان.

وفى كل الأحوال فإن " لأدب الخيال العلمى " طبيعته الموصولة بعالم الطفل . وتتلخص تلك الطبيعة فى :

* يتميز الخيال بالانفعالية العاقلة وبدوره الخلاق فى التطهير الجمالى ، والإبداع الفنى ، وفى الانتقال إلى مستوى الرمز والمعانى والدلالات ، والقدرة على تجاوز الواقع والامتداد فى كل الأبعاد تحقيقا لصورة متخيلة تتأسس على حقائق وقوانين واقعها الخاص ، وتتكون فى المستوى المقابل للواقع المعيش والحياتى ، ولا تستطيع قوة أن تخلق مثل هذا الواقع الموهوم إلا قوة الخيال التى تقف وراء أى إنجاز علمى ، أو عمل إبداعى ، وتمتص من العقل بعض هباته.

* أدب الخيال العلمى يتميز بالالتحام بما هو انفعالى وعقلى وبما هو نفسى واجتماعى لإعادة صياغات الأشياء والكائنات محاولة من المبدع والفنان نحو النزوع إلى خلق جديد ، وهكذا يصبح الفن ضرورة لتغيير الواقع ، و من ثم تكون حاجة الفن إلى الخيال حاجة ملحة ، لأنها حيوية . حيث لا يوجد فن بلا خيال ؛ لأن الخيال هو الوسيلة الحيوية والإيجابية التى يتوسل بها الفنان ضمن وسائله وتقنياته الأدبية نحو ابتداع الصورة الفنية بجمالياتها وتوازناتها ، أو التى يلعب الخيال فيها دورا بارزا مثل الصورة الكلية أو الحلول الابتكارية . وهنا يؤدى الخيال وظيفته الحقيقية ، و هى الإبداع ، وإعادة ترتيب الأشياء ، و تجديد الواقع ، و خلق الصور ، و تقديم الحلول .

* وبواسطة هذا الخيال تتم عملية تصفية وتنقية الواقع الحياتى ، ثم تهذيب الأحاسيس تجاهه ، وبلورة التصورات والانطباعات ليتمخض عن هذا كله وعى بصورة مقاربة يلعب الخيال الدور الأول فيها بحيث يمكن خلق إحساس لدى المتلقى بأنه فى وضع فنى ونفسى يؤهله ؛ ليتبنى أفكارا جديدة عن هذه الصور المتخيلة التى جاءت تحديا صارخا للواقع بقوانينه وعلاقاته . وهذه العملية توضح الطبيعة الانفعالية العقلية للخيال ، وعقلانية توجهه ،

والانفعالية الإيجابية التى تترتب فى المتلقى أو المبدع بأثر من الخيال تعنى التعاطف مع الواقع والفهم القيمى للأشياء .

* " أدب الخيال العلمى " له طبيعة وجدانية وعقلانية ، تمتزجان معا وقد ينفرد كل منهما عن الآخر ، وهذا الخيال يستمد مقوماته العقلانية من الالتزام بمبادئ وعقائد يعمل الخيال فيها دورا توجيهيا ؛ حيث الصور تتحول إلى مسرح ورموز ودلالات توظف جميعها لخدمة تلك المبادئ والعقائد ، ولذلك فإن الخيال كامن فى الكلمات أو الرموز المعبرة عنه ، وكامن أيضا فى تلك الأرقام متمثلا هذا فى قدرة قابلة للتفجير .

* إن الخيال العلمى ينطلق من واقع مسكون بالتحدى ومتداخل الإشكاليات ، ومحمل بالرؤى العلمية لمستقبل الإنسانية ، واحتمالات المستقبل المتجاوز إنجازات الحاضر ، إلى إنجازات أكثر تحقيقا لحلم وخيال العلماء والبشر ، مثل تجاوز عصر المعلومات إلى عصر ما بعد المعلومات ، والحداثة إلى ما بعد الحداثة.

* أدب الخيال العلمى يسع الحياة وما وراء الحياة أى المرئى المحسوس المادى والغيبى المعنوى ، لذا كان هذا الخيال متميزا بالوعى بالواقع ، و الإبداع بتصور ما وراء الواقع . والفنان فى ميدان " أدب الخيال العلمى " عندما يريد ابتداع صوره فإنه يحاول تجاوز الواقع بظواهره ، ثم الولوج إلى الأغوار السحيقة ، والأعماق البعيدة لكشف جميع الأبعاد، والوقوف على بنيتها الداخلية ، والولوج إلى جوهرها المكنون ليظهر إلى أى مدى يتغلغل الفنان فى الواقع ويعكسه ضمن مفاهيم معينة ، ومعتقدات خاصة . محاولا بهذا كله الإفضاء إلى عالم معادل لعالم الواقع المعيش وموازنا للعالم الموهوم . وهذه قيمة سامية لوظيفة الخيال المتجسدة فى التشكيل والبناء وإعادة صياغة الواقع وفق صورة مثالية نحتفظ بها وهذا كله يتم وفق نموذج جمالى .

2- الخيال فى الصور المجازية :

الصور المجازية يصنعها الخيال ، واستخدام الأديب للكلمة يكون فى معنى غير المعنى الذى يوجد لها فى المعجم ، حيث ينقلها فى عمله الأدبى من المجال المعجمى لتعطى دلالة أوسع ، لأنها فى هذا الاستخدام الجديد يمكن أن تتضمن بعض ملامح المعنى المعجمى ، بالإضافة إلى الدلالة الجديدة فى العمل الأدبى ، مما يجعل دلالتها ثرية ، كما يمكن أن تحقق قيمة جمالية للتعبير ، بالربط بين طرفى الصورة المتشكلة من المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، وهذه العلاقة تقوم على أسس نفسية منها : تصوير المعنوى فى صورة حسية ، فتدركه النفس وتتأثر به ، أو تنقل صورة المتلقى من الخفى إلى الجلى عن طريق هذا الربط فتتجلى الصورة فى نفسه ، أو ينتقل المتلقى مما هو بعيد عنه إلى ما هو قريب منه مألوف له ، فتتضح الصورة أكثر، لكن هذا الجمع بينها يحكمه الفكر والقياس و الاستنباط ، ويجب ألا نطالب الطفل الصغير بإدراك بلاغة الصور المجازية على أسسها الفنية و النفسية ، وكيفية تشكيلها ، بل المطلوب أن يتمثل خياله ما فيها من جمال حتى يتذوقه ، ويؤثر فيه ، بناء على ما بين أطراف الصورة من علاقات .

إن تفكير الطفل وذكاءه يتطوران باستمرار منذ السابعة حتى ينتقل من مرحلة الذكاء الحدسى ؛ أى اللامنطقى الذى ساد فترة طفولته المبكرة من (3 – 7 سنوات)؛ إذ يجد صعوبة فى التمييز بين الخيال والحقيقة لينتقل إلى مرحلة الذكاء المحسوس (من 8 – 12 سنة) ، و يعتبر ذلك تحولا مهما فى حياة الطفل الذهنية والاجتماعية وهو ما يعنينا ، فيتجلى لديه بروز العمليات الذهنية كالتفهم و المناقشة والحوار مع رفاقه ، و قد يعمد إلى إعطاء الأدلة والبراهين التى تؤكد وجهة نظره ؛ لأنه وهو ينتقل فى هذه المرحلة من الذكاء الحدسى إلى الذكاء المحسوس القائم على العلاقات المتبادلة ، يستطيع أن يدرك العلاقات القائمة بين شيئين أو أكثر ، وهو ما يتصل بمقدرته على الاتصال بالصور المجازية ، وإدراك دلالاتها ، واستنباط

معانيها، وبداية تذوقه لها من الثامنة من عمره وهو فى هذه السن قد يتدعم لديه التمييز بين الخيال والحقيقة كما يستطيع أن يتبين أوجه الشبه و الفروق بين الأشياء البسيطة ، كما يتوسع فى استخدام اللغة الرمزية ، وهذه الصور أيضا يمكن أن ترمز إلى معان ودلالات ، لكن هذه الصور فى الوقت نفسه يجب ألا تقوم على تعقيد العلاقات، وتكثيفها ، وإنما يجب أن تكون هناك بساطة فى الصور ، بناء على بساطة أطرافها وقرب الاتصال بينها ، وبعدها عن التعقيد حتى لا تتجاوز المرحلة السنية الملائمة لها ، فيكفى فيها الربط بين شيئين أو ثلاثة على أكثر تقدير ، حتى يستطيع الطفل أن يستوعبها ويتأملها ويتفاعل معها ويدرك شيئا مما ترمز إليه .

إن الهوية منظومة تتألف من إفرازات مختلفة لمنظومات مجتمعية مختلفة هى نتاج ومحصلة للأنساق الاقتصادية من إنتاج وعلاقات إنتاج ، وللسياسة من نظم حكم ومواقع السلطة والسلطان ، وللنسق الاجتماعى من بنية المجتمع وشرائحه الاجتماعية ، وللنسق العسكرى والأمنى المعرفى والفكرى والفنى والقيمى بما فيه من مجال القيم والمعتقدات الاجتماعية والشرائع السماوية والهوية .. خلطة متراكمة من رواسب الماضى ونتاج الحاضر وتطلعات المستقبل .

إن هويتنا المصرية غير منحصرة فى معطياتها التاريخية ، ولكنها تغدو كيانا حيا ينمو ويتطور عن طريق ما نصنعه وما ننجزه ، وهويتنا لا تسلم بمفهوم الحفاظ عليها وتمجيدها واجترارها وإعادة إنتاج أفكارها وعلاقاتها لأنها تخضع لسنن الحركة والتغيير .

وجوهر هويتنا المصرية يتمثل فى العقيدة الدينية وفروضها الإيمانية والإنسانية، ومع كل ما واجهناه من غزوات وصدمات وتحديات سياسية وفكرية لم تتمكن من زعزعة هذا المكون الجوهرى فى ثقافتنا ، بيد أن لغتنا العربية فى حاجة إلى تجديد الفكر والخطاب الدينى ؛ أى الاجتهاد الفقهى بما يرسخ قيم السعى فى الحياة والعمل المنتج وتحقيق كرامة الإنسان .

وهـويتنا المصرية تتزايد فيهـا الفجـوة بـين الأجيـال ويـتجلى ذلـك فى انتـشار البطالة ، وانتشار ظواهر الاغتراب أو التمرد أو العنف لدى طريق من الشباب ، إلى جانب لهاث فريق آخر نحو الاستهلاك المستفز واصطناع الموضات واتباع مغريـات الإعلان فى وسائل الإعلام .

وهويتنا المصرية فى بعدها السياسى يبدو عليها التوزع بين ثنائيـات وثلاثيـات من المواقف الأيديولوجية والعاطفية ، لعل أشهرها ثنائيـات الأصـالة والمعـاصرة ، والموروث والوافد، والدولة العسكرية والمدنيـة ، والعلمانيـة والدينيـة ، أو النـسيج القبطى القومى الإسلامى ، وتتفرع عن هذه الثنائيات والثلاثيات تفريعات فكريـة وثقافية وقيمية كثنائية الرجـل والمـرأة ، والمثقفـين والجماهـير ، والـتراث والعلـم ، والفنون والعلوم و..... الحقيقة المطلقة وأصحاب التوجـه النـسبى والاحـتمالى ، وبين الالتزام بالنص والرواية والرأى وإفساح المجال للخلاف .

وثقافتنا المصرية لها علاقة بالعولمة وبالثقافات الأجنبية وتنوعت هذه العلاقة ؛ لنجد التطرف فى النظر إليها فى انبهار وتقديس أو النظـر إليهـا فى خـوف وإنكـار ، وهنـاك من ينظر إليها كتراث إنسانى نستعين بثمـرات خبراتـه ومنجزاتـه بطريقـة ناقدة ومبـدعة لتحريك واقعنا فى مضمـونه وأشكاله الحياتية ، ويتصدى لتـأثيراتها السلبية .

وانعكست كل هذه الخصائص التى اتسمت بها الهوية المصرية على لغتنا العربية الفصحى ، فغالبتها العامية المصرية ، ووفدت إليها عبـارات وتعبـيرات ومفـردات وتراكيب لها دلالاتها ، كما أثرت ثورة المعلومـات والاتـصالات ووسـائل الإعـلام على ازدهار الفكر والعلم والأدب والتقنية وعلى اللغـة الفـصحى لـدى الخاصـة .. فـصحى العـصر لغـة ميـسرة معربـة ، وهجـم الكمبيـوتر والإنترنـت والمحمـول والفاكس والبريد الإلكترونى والفيديو .. ومع الوسـائط المتعـددة ، التـى تناولـت

بعض مكونات الهوية المصرية اتسعت مضامين المكونات الاقتصادية والسياسية والإعلامية والدعائية والإعلانية والعلمية والدينية ، وتدفقت الرسائل اللغوية العربية الفصحى على استحياء وعامية جديدة فى شكلها ومضمونها ، بل إن اللغات الأجنبية سطرت فى رسائل الشباب بحروف عربية .

نحن الآن نعيش هوية مصرية جديدة مهما تعلق بعضنا بهوية ماضوية وتشدق بحكمها وأمثالها وتمسك بعاداتها وتقاليدها ، فقد تطورت هويتنا المصرية وتطورت معها لغتنا العربية فى مفرداتها وأنساقها ودلالاتها وتركيبها وبلاغتها وفيما تحمله من ثقافة ما بعد الحداثة ، ثقافة المعرفة واللايقين ، وثقافة السوق الحر وشراسة المنافسة فى ظل العولمة التى نافست فيها اللغات الأجنبية اللغة العربية فى الجامعة والسوق . إننا لسنا نتاج وراثتنا فحسب ، ولا محصلة ما نكتسبه فحسب .. إن هويتنا المصرية ولغتنا العربية تتكون من تلك العلاقة الدينامية بين ما نرثه وما نكتسبه معا .

* * *